أسطورة هرمجدون
معركة النهاية الكبرى

هرمجدون والمهدى المنتظر ونزول عيسى عليه السلام

محمد عبد الحليم عبد الفتاح

دار الحياة
للنشر والتوزيع

أسطورة هرمجدون
ومعركة النهايــة الكبرى

محمد عبد الحليم

أسطورة هرمجدون..
ومعركة النهاية الكبرى

تأليف:
محمد عبدالحليم عبدالفتاح
الناشـــــر
دار الحياة
تليفون: 3530109
موبايل 0101158165

رقم الإيداع: 2008/8623
الترقيم الدولي: 977-6212-20-4

محمد عبد الحليم عبد الفتاح

أسطورة هرمجدون
ومعركة النهاية الكبرى



مقدمة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.... أما بعد...

كتاب هرمجدون هذا الكتاب مما لُبِّس فيه الحق بالباطل، وهو كتاب يدعو إلى الزيغ والضلال، لا إلى الهداية والرشاد، وعفا الله عنا وعن كاتبه، وفى هذه الإجابة السريعة أبين أن كتاب الفتن لأبى عبد الله نعيم بن حماد، كتاب جُرِّح صاحبه عند أهل الحديث بسببه، ولا يقبل، وأما باقى الكتب فهى تحوى من الأحاديث ما يقبل وما لا يقبل عند أهل هذا العلم.

ولقد أتى هذا المؤلف بأحاديث مجملة وهى صحيحة، عن بعض الأمور الغيبية التى أشار إليها النبى - صلى الله عليه وسلم -، مثل حديث حذيفة أنه حدثهم يومًا حديثًا طويلاً عما هو كائن، ثم يقول حذيفة: فحفظنا ما حفظناه، وجهلنا ما جهلناه.

فإذا كان حفظ من حفظ ما قال النبى - صلى الله عليه وسلم -، و نسى من نسى، فما دليل ذلك على التفاصيل التى أوردها فى ورقة لا نعلم لها قدمًا من ساق، ولا وجهًا من ظهر ؟! فما سند هذه الورقة؟! ولماذا ظهرت فى هذه الأيام تحديدا ؟! ثم لماذا توقفت فى رؤساء مصر عند عهد السادات ولم تأت بشىء بعده ؟ أخشى أن تبدو صحيفة كل رئيس بعد موته، وكأنما هى أمور تعد صناعة.

والمتتبع لأحاديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الصحاح وكتب السنة وغيرها من الدواوين المعتمدة عند أهل الحديث، لا يجد أحاديث مفصلة على مثل ما جاء فى هذه الورقة السحرية العجيبة، التى تحدد اسم الرئيس واسم والده، وتبين صفة عينه ولون بشرته.

إننا نرى دائمًا أحاديث رسول الله ترشدنا فى أمور الغيبيات إلى إجماليات، ويأمرنا بأن نتعامل معها كأنها واقع حالاً، فكان يقول : يا أبا هريرة إذا لقيت ابن مريم فأقرئه منى السلام، وكان يقول عن الدجال: فإن يظهر وأنا بين ظهرانيكم فأنا حجيجكم، وإن يظهر بعدى فكل حجيج نفسه وعلامات الوضع والكذب الصريح على رسول الله واضحة فى هذه الورقة التى لا يصدق نسبها لرسول الله إلا رجل أبله، مختل العقل، لا يفقه شيئًا عن الأحاديث وضوابط روايتها . ومن الأمور المهمة التى أحب أن أشير إليها الآتى:

١- أن الإسلام حين يحدثنا عن الغيبيات يأتى حديثه عنها دائمًا فى صفات مجملة.

٢- الإخبار عن الغيبيات إنما هو تحذير وتنبيه للأمة جميعا : لتبقى الأمة فى يقظة للحفاظ على دينها، والحذر من عدوها.

٣- أن أى أمر غيبى يجب ألا يدعو إلى السكون والراحة والدعة، بل يدعو إلى مزيد العمل لمنع شر يأتى، فإن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: "إن قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة يريد أن يغرسها، فإن استطاع الا تقوم

حتى يغرسها فليغرسها".

أما أن ننظر إلى حديث الغيبيات مثل الحديث الصحيح أن الفرات ينحصر عن كنز من ذهب فيقتتل الناس، فمحاولة تأويل هذا الحديث على ما حدث بين العراق والكويت تأويل لا يوافق نص الحديث، وبالتالى يجب على المسلمين ألا يلووا أعناق الآيات والأحاديث لفهم الواقع الذى يعيشون فيه.

٤- أن أحاديث الغيبيات يجب أن يتحرى الإنسان الدقة فى معرفتها، فتؤخذ من كتب الأئمة الثقات شأنها فى ذلك شأن باقى أحاديث النبى - صلى الله عليه وسلم -.

٥- أننا نعرف بأننا أمة السند، أى إن الكلام لا يصير عندنا دليلا إلا إذا روى بسند متصل من الراوى إلى حضرة النبى - صلى الله عليه وسلم -، وهذه الورقة العجيبة النادرة التى وجدت فى مكتبة بإستانبول ليس لها قدم تقف عليها، بل جميع علامات الوضع ظاهرة فيها.

٦- أن كلمة هرمجدون لم تعرف إلا فى الكتب اليهودية، وهو العهد القديم الذى يسمونه، وهو كتاب نعلم أنه قد دخل عليه من التحريف ما كشف عنه القرآن العظيم "يحرفون الكلم عن مواضعه" "ويشترون به ثمناً قليلاً"، فلا أدرى أكاتب هذا الكتاب راغب فى إظهار الفكر اليهودى بيننا بعد أن يكسيه لباس الإسلام؟!

٧- أما السعى لتحديد عمر ومدة وزمان هذه الأمة، ما هو الأساس الذى يستند إليه مع أن القرآن منذ أنزل قال: "اقتربت الساعة وانشق القمر"، والنبى يقول: "بعثت فى نفس الساعة"، وفى حديث آخر: "بعثت أنا والساعة كهاتين وجمع بين إصبعيه السبابة والوسطى" وقال : "إن كادت لتسبقنى". فمن أين حددوا المدة بألف أو بألفين أو بثلاث أو بأى عدد من السنوات؟! أم أنهم أيضًا فى هذا التحديد تأثروا بالفكر التوراتى الصهيونى الذى يخبر أن الدنيا سبعة آلاف عام؟! أم بفكر الدجالين الذين جمعوا الحروف المقطعة فى أوائل بعض سور القرآن الكريم وعملوا على طريقة المنجمين فى احتساب ما لديهم لكل حرف؟!

٨- ومن العجب أيضًا أن كثيرا من الناس ينظرون إلى القضية الفلسطينية والدائر بيننا وبين اليهود بما ورد فى صدر سورة الإسراء، أعنى قوله تعالى: "وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين"، وواقع الأمر أن أهل التفسير جلهم على أن الكتاب هذا هو ما أنزل على موسى بن عمران عليه السلام من التوراة، وينسون أن الآيات التى فى سورة الإسراء تضمنت قوله تعالى: "وإن عدتم عدنا" مع عدم تحديد عدد هذه المرات بما لا يُعلم لأحد، وبدلاً من العمل على إزالة هذا الكيان الصهيونى فإذ بقوم يركنون ويلتمسون لأنفسهم العذر.

٩- أن الإسلام يربى المسلم على أن يحتاط لنفسه قبل موته، بادروا بالأعمال سبعًا كما قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأخبرنا بسرعة هذا الأمر، ويقول أيضًا: "عش فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل" وكان ابن عمر

رضى الله عنهما إذا روى هذا الحديث قال: "إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء"، فقيامة كل واحد منا ونهاية الدنيا له إنما تكون بموته، حيث سيضمه القبر وحيدًا فريدًا يحاسب على ما كسبت يداه.

١٠- أن سبب انتشار مثل هذه الكلمات التى لا تستند إلى دليل شرعى صحيح، ويلبس فيها الباطل بالحق، إنما هو كثرة الجهل (قلة العلم) كما أخبر النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه علامة من العلامات الغيبية التى ستكون فى الأمة.

ولذا ننصح المسلمين بفهم كتاب ربهم وسنة نبيهم من الأئمة الأعلام والعلماء الكرام الذين اشتهروا فى الأمة بالعلم والثقة، حتى يتعرفوا على حقيقة الأمور فلا يقعوا ضحية لتضليل المضللين، وتزوير المزورين.

الفصل الأول

تحليلات الساسة من الغرب والشرق لمعركة هرمجدون

وهذا مما يتعجب له المرء، أن يكتب رجل يزعم أنه من أهل الدعوة والعلم، فى أمر من أمور العقيدة والغيبيات ثم يستدل بأقوال سياسيين لا شأن لهم فى أمر الدين ولا معرفة.

سياسيون وكتاب غربيون:

ذكر المؤلف أنه أورد فى كتابه " عمر أمة الإسلام " طائفة من أقوال رؤساء وعلماء ومثقفى الغرب بشأن ما يسمى بمعركة "هرمجدون" المزعومة ثم نقل هذا الكتاب نصاً واحداً لكل طائفة من طوائف القوم من باب الإشارة وبيان معتقدهم فى هذه الكلمة "هرمجدون"

فمما نقله عن الرئيس الأمريكى السابق " رونالد ريجان " قوله :" إن هذا الجيل بالتحديد هو الجيل الذى سيرى هرمجدون "

ويقول "جيرى فولويل " : زعيم الأصوليين المسيحيين .

" إن هرمجدون هى حقيقة، وإنها حقيقة مركبة،ولكن نشكر الله أنها ستكون نهاية العامة"

وهذه الكاتبة الأمريكية "جريس هالسل" تقول فى كتابها " النبوءة والسياسة " " إننا نؤمن كمسيحيين أن تاريخ البشرية سوف ينتهى بمعركة تدعى هرمجدون، وأن هذه المعركة سوف تتوج بعودة المسيح الذى سيحكم

بعودته على جميع الحياء والموات على حد سواء "

ونقل عنها أيضاً قولها : " ويعتبر العسكريون - خاصة الغزاة القدماء - هذه المنطقة موقعاً استراتيجياً يستطيع أى قائد يستولى عليه أن يتصدى لكل الغزاة "

فما لنا ولهم فليعتقدوا بما شاؤا، وكم اعتقدوا من أباطيل وخرافات فلا يسوغ لنا كمسلمين، فضلاً عن الدعاة أن نلهث وراء تحليلات الغرب من أهل الضلال والانحراف، فلن يهدونا وقد ضلوا.

سياسيون شرقيون :

وهذا من أعجب العجب، فعندما أراد أن يثبت أن موت خليفة السعودية يعنى به الملك فهد بن العزيز - هو المقصود فى الحديث" يكون اختلاف عند موت خليفة ..

هـــرمـجدون

وما أدراك ما هرمجدون .. إنها الواقعة العظيمة والحرب النووية المدمرة .. إنها المنازلة الاستراتيجية الضخمة .. إنها الحرب التحالفية العالمية التى ينتظرها جميع أهل الأرض اليوم .. إنها المواجهة الدينية السياسية .. إنها الحرب الصليبية الجديدة .. إنها معركة التنين متعددة الأطراف .. إنها أعنف وأشرس حروب التاريخ .. إنها بداية النهاية .. إنها الحرب التى يعم قبلها" السلام المشبوه " فيقول الناس حل السلام حل الأمن ..

إنها هرمجون !!!

ثم يبين لنا أنها سميت بهذا الاسم نسبة إلى وادى مجيدو بفلسطين وأما أدلة المؤلف على ذلك فهى :

(١) ـ أقوال الساسة الغربيين : أمثال رونالد ريجان الرئيس الأمريكى الأسبق وجيرى فولويل زعيم الأصوليين المسيحيين والكتابة جريس هالسل والكاتب أورال روبرتسن والكاتب هال ليندسى وغيرهم .

(٢) ـ نصوص الإنجيل المحرف :

فنقل عن سفر الرؤيا (١٦ / ١٦) ونقل من إنجيل لوقا (١٢ / ٢٥ - ٣٧) وسفر زكريا (٨٩ /١٣) وفيه أن اليهود سيموت ثلثاهم فى هذه المعركة ونقل عن سفر حزقيال (١٢ / ٣٩) واستشهد بسفر دانيال كما نقله من كتاب " يوم الغضب " .

(٣) ـ وأخيراً ذكر حديثاً واحداً وهو حديث الملحمة المعروف .

وحاول تطبيعه على نصوص الإنجيل والساسة الغربيين، فقلب الموازين رأساً على عقب، بعد أن كان يستدل بنصوص المسلمين أولاً ثم يستأنس بنصوص أهل الكتاب - بزعمه - إذا هو يجعل الأصل نصوص أهل الكتاب ويستأنس لهم بهذا الحديث فى آخر بحثه بعد أن قرر أن هرمجدون هذه حقيقة لا يجادل فيها أحد، فكأنه ذكر الحديث ذراً للرماد فى العيون ونحن نبطل بحول الله وقوته مزاعم المؤلف ونكشف تلبيسه فنقول وبالله التوفيق .

أولاً: طريقة الاستدلال التى ساقها المؤلف عجيبة، لم نر من أهل العلم فضلا على طلابه من يسوغ لنفسه أن ينهج هذا المنهج إلا ما نسمع عنه فى الأعوام الأخيرة عن أشباه هذا المؤلف وأضرابه، ممن كتبوا كتباً ذات أغراض مشبوهة فالله حسيبهم .

ثانياً: أن التعلق بمثل قول النبى صلى الله عليه وسلم : " حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج " وقد تقدم الكلام عليه - ما هو إلا ستار يختفى خلفه أدعياء العلم، ليخرجوا على الناس بما لم يعرفوه، ليصيبوا شهرة أو جاهاً فى الدنيا، وقد سنوا سنة سيئة عليهم وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، ففتحوا باب الأخذ من أهل الكتاب على مصراعيه، رغم علمهم بتحريف النصارى واليهود لكتبهم، فكيف يؤتمن فى أمور الغيب من قد خان الله ورسوله .

ثالثاً: ليعتقد النصارى ما يريدون، ما لنا ولهم، وكم من باطل اعتقدوه وكم من خرافات نشروها، وكم من أمور غيبية اعتقدوها وتبين فيما بعد أنها كذب .

فما موقفك مثلا إذا اعتقدت بما يسمونه "هرمجدون " ثم تبين بعد حين أن السير خلف النصارى فى أمر اعتقادى أو غيبى لا يجوز كما بينا من قبل للنهى الوارد فى ذلك، وأما الترخيص فبمثل الحكايات السابقة عن بنى إسرائيل فى باب المواعظ والاعتبار فقط .

قال الله تعالى (وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب.

فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وامرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير) (الشورى : ١٤ - ١٥).

رابعاً: أنه بعد أن نقل المؤلف روايات النصارى من نصوص الإنجيل المحرف وتحليلات ساستهم، واستنتج منها نتائج عجيبة خرج بها على الأمة ملخصها ما قاله هو فى ص ٦٤ (ص٤٥ فى النسخة الإلكترونية): " ونقول أن ثمة حربين ستقعان : هرمجدون الملحمة الكبرى، ويكون النصر فى الأولى للروم والمسلمين على عدوهم أو بمعنى أصح كما جاء فى بعض الروايات أنه عدو لهم أى الروم وهم المعسكر الشرقى الشيوعى والشيعى، ويكون النصر فى الثانية وهى الملحمة الكبرى للمسلمين على الروم " .

فبعدما انتهى من هذه الحقائق الخطيرة التى غابت عن الأمة لمدة أربعة عشر قرناً أو يزيد واكتشفها هو بمعونة النصارى، أراد أن يذر الرماد فى العيون فذكر حديثاً واحداً لا غير محاولاً أن يتستر خلفه، وهو حديث ذى مخمر رضى الله عنه مرفوعاً : " ستصالحكم الروم صلحاً آمنا فتغزون أنتم **وهم عدواً من ورائهم فتنصرون وتغنون وتسلمون، ثم تنزلون بمرج ذى تلول فيقوم رجل من الروم فيرفع الصليب ويقول: غلب الصليب، فيقوم إليه رجل من المسلمين فيقتله فيغدر الروم وتكون الملاحم فيجتمعون لكم فى ثمانين غاية مع كل غاية اثنا عشر ألفاً** " .

ونحن نكشف حقيقة هذا التلبيس بحول الله وقوته من عدة وجوه :

(١) أن حـديث ذى مـخـمـر رضى الله عنه ذكـر الصلح بين المسلمـين والنصـارى وأنهـم يقـاتلون عدواً مشـتـركاً لهم، أى أن هذه المعـركة ليست بين المسلمـين والنصـارى، والمؤلف يقـول أنه مـا يسمـى " هـرمـجـدون " ومـا يفسد على المؤلف مـا ذهب إليـه، أنـه من المعـروف أن النصـارى يعـتـقـدون بأن هـرمـجـدون هـى حـرب بين المؤمنين بالمسـيح وغـيـر المؤمنين من الوثنين والكنعـانين وهم العـرب ، ويعتقدون أن المسيح سينزل آخـر الزمـان ويجئ من السمـاء بمجـرد أن تقـوم حـرب "هـرمـجـدون " النووية الفظيعـة - على حـد زعمهم - ليـأخذ أتباعه - أى المؤمنين به - ويرفـعهم فوق السحـاب حتى لا يعـانوا أهـول الحـرب الضـروس ، إذن فـهى حـرب واضـحـة بين النصـارى والمسلمين، ولكن المؤلف حاول الهرب من هذه الحقيـقة مدعيـاً أنهـا حـر ب ضد الإرهاب، فهل من المعقول أن يجتمع جيوش تتعداها - كما يزعمون هم - حوالى ٤٠٠ مليون جندى لمحارية الإرهـاب فى هـذه البقعة الصغيرة؟

ثم مـا يؤكـد فسـاد قـول المؤلف أن النصـارى لا يعـتـقـدون بـحـروب أخـرى بعدهـا، فهم يعتقدون أن مجىء المسيح المخلص فى حرب " هرمجدون " إيذانا بفنـاء العـالم ، حتى قـال مـؤلفـيـهم من الأمـريكان : " لا داعى أن تفكروا فى ديون أمـريكا الخـارجية، ولا داعى للقلق على مستقبل الأجيال القـادمة. لأن هذا الجيل بالتحديد الذى سيشهد هرمجدون، ومن ثم نهـاية أعظم كـرة ارضية.

وبالتـالى فقـول المؤلف " إن ثمـة حربين ستقـعان هـرمـجـدون ويليهـا الملحمـة الكبـرى " . يتنـاقض مع قـول النصـارى أنفسهم، فمـاذا هـو قـائل ؟

(٢) قوله : " ويكون النصر فى الأولى للروم" وهذا أيضاً يتناقض مع قول النصارى الذين يعتقدون أن الهزيمة ستلحق كل الكنعانيين، فمن أين جاء هذا الاستثناء؟

(٣) لو كان المؤلف قد ذهب إلى أن "هرمجدون" هى "الملحمة الكبرى" لكان له وجه، ولا يهمنا نحن المسلمون بأن النصارى يسمونها "هرمجدون" أو غيره كما يظن المؤلف أن الإشكال فى الاسم.

فالملحمة الكبرى حقيقية لا جدال فيها، وتجتمع فيها جيوش الروم لقتال المسلمين هذه حقيقة أخرى وتكون نذيراً بقرب الساعة وخروج الدجال، كل هذه الحقائق يقترب معنا النصارى فيها فى وصف هرمجدون دون لتفصيل كعدد الجيوش ومكان وقوع هذه الحرب وقد روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال" لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالإعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا : قالت الروم خلو بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون : لا والله لا نخلى بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا، ويُقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله ويفتتح الثالث، لا يفتنون أبداً فيفتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان، أن المسيح قد خلفكم فى أهليكم، فيخرجون وذلك باطل، فإذا جاءوا الشام خرج، فبينما هم يعدون

للقتال، يسوون الصفوف إذا أقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم عليه السلام... وقد جاء تصريح فى هذا الحديث بمكان الملحمة الكبرى وأنه بدابق أو الأعماق.

قال النووى: والأعماق ودابق موضعان بقرب حلب

بينما يعتقد النصارى أن هرمجدون فى سهل مجيدو بفلسطين، ومنها أخذت تسمية المعركة، وعلى هذا روج المؤلف لتسمية النصارى جرياً وراء الشهرة، وترك ما جاء فى السنة، فيا فرحة النصارى بذلك، فإن فى ذلك إقرار لهم بصحة ما هم عليه، فضلاً عن نشره والترويج، بينما نصوصنا الشرعية الثابتة، لا يلقى لها بالاً بل عنوان الكتاب ذاته يأخذه من الاسم الصليبى، فكان له السبق - فيما أعلم- وسن السنة فى ذلك، فالله حسيبه.

(٤) حدد المؤلف العدو الذى سيقاتله المسلمون والنصارى فى قوله صلى الله عليه وسلم " فتغزون عدواً من ورائكم"

فقال : "وهم المعسكر الشرقى الشيوعى والشيعى"

فلا أدرى من أين له بذلك؟

ربما لديه نصوصاً لم يطلع عليها أحد!! أو أن التحليلات والنشرات السياسية كان لها دور فى هذا التحديد الدقيق!!

(٥) أنه مما يؤكد فساد ما ذهب إليه المؤلف فى أن " هرمجودن " هى

المقصود من الحديث :"ستصالحون الروم صلحاً أمناً فتغزون أنتم وهم .." الحديث

بدليل قوله صلى الله عليه وسلم :"عدواً من ورائهم"

وما يؤكد ذلك لفظ الحديث :"ثم ترجعون.

بينما يعتقد النصارى أن وقعة "هرمجدون" فى فلسطين، ولا يعتقدون أنه فى مكان آخر غير سهل مجيدو.

(٦) حاول المؤلف التلفيق بين اعتقاد النصارى بأن "هرمجودن" هى حرباً واحدة وبين حديث الملحمة الكبرى والذى ذكر فيه حربين إحداهما معهم والثانية ضدهم، بأن "هرمجدون" هى جولات وأن الجولة الأولى هى التى ستحدث فى سهل مجيدو بفلسطين وأنهم الآن يمهدون لذلك بما يسمى بمحاربة الإرهاب.

قلت: وهذا كلام باطل شكلاً وموضوعاً، فلا هو بكلام المسلمين أخذ ولا على كلام النصارى ثبت، وحاول أن يلفق بين هذا وذاك فأتى بما هو العجب العجاب، فصار يؤلف سيناريوهات لعملية التلفيق هذه، وهو مع هذا فى شكم منها، إلا أنه لا يجزم إلا بشىء واحد فقط :

قال فى ص٦٧ ما نصه: "إلا أن الشىء الوحيد المحقق هو أن الحرب العالمية "هرمجون" بين المشرق والمغرب باتت وشيكة".

ولو كان يؤمن بقول النبى صلى الله عليه وسلم إيماناً جازماً لا شك فيه ما تردد لحظة واحدة فى أنه هو الحق، وأنه الشىء الوحيد المحقق.

على أن كلام المؤلف متناقض فى نفسه ونحن نثبت ذلك بحول الله وقوته: فنقول وبالله التوفيق.

إن زعم المؤلف بأن هرمجدون هى الجولة الأولى لا يصح بحال من الأحوال، لا عندنا ولا عند النصارى.

فعندنا أن الجولة الأولى هى غزوة مشتركة مع الروم لعدو خارج بلادنا، وهذا العدو هو من بلاد كافرة قطعاً لقول النبى صلى الله عليه وسلم :"فتغزون أنتم وهو" فالغزو غالباً للكفار كما هو المفهوم الشرعى عند إطلاقه، ومنه غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم و إن كان قد يطلق أحياناً بالمفهوم اللغوى وهو بمعنى القصد، والذى يؤكد المعنى الأول تأكيداً لا ريب فيه قول النبى صلى الله عليه وسلم بعدها"فتنتصرون وتغنمون وتسلمون" أى أن المسلمين سيغنمون فى هذه الغزوة غنائم كثيرة، ولا يطلق لفظ : (الغنائم) أو (الغنيمة) إلا فى غزو الكفار كما نص على ذلك العلماء.

فكيف تكون حرباً نووية مدمرة ويكون فيها النصر للمسلمين ويغنمون ويسلمون فلا يصابون بأذى، بينما هم المقصودون فى اعتقاد النصارى.

أما عند النصارى فلا يستقيم أيضاً كلام المؤلف، فإنهم يعتقدون أنها حرباً واحدة، بل هى آخر شىء، تدمر كل الوثنيين من العرب وأشباههم -فى

زعمهم- ولقد حاول أن يجد لهم مخرجاً فى ذلك، بأنهم يتكتمون هذا الأمر لأنهم سيكون فى نيتهم الغدر فلا يريدون كشف ذلك.

فلا أدرى أى اعتذار هذا وهم الذين صرحوا بأن هرمجدون هذه لإبادة الأشرار والوثنيين من الكنعانيين، فهل بعد هذا من تصريح؟ والقوم لم يذكروا حربين أبداً ولا يعتقدون ذلك، فهلا كنت منظراً لهم وشارحاً لكتبهم المقدسة -بزعمهم- ومصححاً لهم مفاهيمهم!!

(٧) بعد أن روج المؤلف لما يسمى "هرمجدون" يبدأ فى تأليف سيناريو للأحداث من وحى خياله فيقول:"وقد يحدث أحد السيناريوهات الآتية حتى تقع واقعة "هرمجون" ويتواجه المعسكران ويشتبك الجيشان بل الجيوش...."

ثم يبدأ فى سخف من القول تفصيل هذه السيناريوهات ثم يقول: "ولن أجهد نفسى فى توقع سيناريوهات أخرى لكيفية اشتعال الحرب لأننى لست سياسياً بارعاً ولا محللاً عسكرياً" ص ٦٦، ٦٧ (ص٤٧ فى النسخة الإلكترونية).

فلا أدرى أيتحدث المؤلف عن قضية عقائدية غيبية؟

أم أنه يتحدث عن مسرحية هزلية يؤلف فيها ويخترع ما يشاء؟

أم أن الأمر متروك للساسة والعسكريين ليحددوا لنا ما يجب أن نعتقده ونؤمن به؟!!

لقد دخل المؤلف - هداه الله - فيما لا قبل له به، وأقحم نفسه فى ميدان التنبؤ بالغيب، ولا يعلم الغيب إلا الله وحده.

قال الله تعالى : " قل لا يعلم من فى السماوات والأرض الغيب إلا الله"(النمل ٦٥).

وقال : " ولله غيب السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله"(هود ١٢٣)

وقال سبحانه :" وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو»(الأنعام ٥٩).

والآيات فى هذا المعنى كثيرة.

(٨) لقد بلغ بالمؤلف الأمر إلى أن أصبحت نصوص النصارى عن هرمجودن حقيقية عنده لا مجال للشك فيها على الإطلاق، بل وصل إلى حد الإنكار على كثير من المسلمين عدم معرفتهم بها فقال: "ومن العجب أننا حين نرى أقوال أهل الكتاب قد تواطأت وكلمتهم اتفقت على اعتبار "هرمجون" عقيدة وحقيقة ينتظرونها، نجد كثيراً من المسلمين بل أكثرهم لا يعلمون شيئاً عنها، بل على العكس يهاجمون من يحاول تنبيههم إلى خطرها القادم، والمرء عدو ما يجهل" ص ٦١(ص٤٣ فى النسخة الإلكترونية).

قلت لا ندرى هل القوم متفقون على ذلك أم هذا مجرد زعم كعادته من باب التضخيم والدعاية.

وعلى كل فإن الأمر لا يختلف سواء اتفقوا أم اختلفوا وعلى فرض أنهم

تواطؤا واتفقوا وأجمعوا على ذلك فقد سبق أن تواطؤا واتفقوا وأجمعوا واعتقدوا أن ذلك سيحدث عند تمام الألف الأولى للميلاد، وأن المجيء الثانى للمسيح على رأس الألف الثانية وانتظروا وانتظروا ولم يحدث شيء

وهاهم الآن يكرروا ما حدث فى الألف الأولى ناسين أم متناسين ما كانوا قد أجمعوا عليه واعتقدوه.

فما هو رد المؤلف على ذلك ؟

ظنى أنه قد قام بالدعاية لعقائد النصارى فى ديار الإسلام أكثر من النصارى أنفسهم، وما كانوا يحلمون بذلك، سامحه الله.

(٩) يعتقد المؤلف أن ما يسمى "هرمجون" حقيقة لا شك فى صحتها كما سبق النقل عنه، ولكن الأخطر من ذلك أن يعتقد أن النصوص التى ذكرت "هرمجون" فى "الإنجيل" إنما هى من النصوص التى لم تحرف، ما يدل على ذلك قوله فى ص ٦١ (ص٤٢ فى النسخة الإلكترونية): "أتدرون ما سر اهتمام الغرب المسيحى قادة وعلماء ومثقفين وكثير من عامتهم بهذه الكلمة "هرمجدون " ؟! إن ذلك يرجع إلى أن هذه الكلمة مذكورة فى الإنجيل فى أكثر من موضع، وهو كتاب مقدس عندهم، حتى بعد تحريفه وتبديله، فهى إذن كلمة مقدسة لها معنى عندهم

ظنى أنه يقصد أنها من الكلمات التى كانت موجودة قبل التحريف وبعده فهى بالتالى حقيقة لا شك فيها، وما يؤيد ذلك ما ذكره فى ص ١٤ عن

المنجم والعراف "نسنزادامـوس" فى تنبـؤاته التى ذكـر منهـا الحـرب الثـالثـة العظمى التى هـى "هـرمجـدون" وأن من مصادر هذا العراف " موروثات اليهود والنصارى والتى فيها بعض العلم الذى لم يغير ولم يبدل " هكذا قال .

وهذا الـذى توصل إليـه المؤلف يعد سـابقـة خطيـرة فـى تصـحـيح بعض نصوص الإنجيل، يحمل تبعتها ويسأل عنها، فأمره إلى الله.

(١٠) وأخـيـراً فـإن من أخطر الأمـور التى حـواهـا الـكتـاب هـو تحـديده الأحـداث بسنوات مـعينـة، وربما دافع عنه بعض المتعاطفين الذين لم يدركوا حقيقة الأمر، والمؤلف نفسه يدرك هذه الحقيقة، لكنه حاول التشويش عليها، ومهاجمة من ينتقده.

فمما قاله فى ص ٤٧ (ص٣٢ فى النسخة الإلكترونية): " ومع ذلك لم أسلم من شـغب الصـبـيـة، فـإذا قلت : النصـارى يـحـددون لـحـرب هـرمـجـون خـريـف ٢٠٠١م، ونحن نقـول قد يكون المر كما يقولون وقد يتقدم قليلاً أو يتـأخـر قليـلاً فـالله العلم، قـال المشـاغبـون : إنه يـحـدد !!، وقـد علمـوا أن هذا ليس تحـديداً لأننى قلت : الله اعلم قـد يكون أو يتـقـدم قليـلاً أو يتـأخـر قليـلاً، ومعلوم أن كلمة قليلاً هنا فى عمر الدنيا سنوات وليس دقائق أو ساعات فهل ما قلته يعد تحديداً ؟ إنه التشغيب والسلام "

قلت : جوابنا عليه هو من وجوه :

أولاً : لماذا يصر المؤلف على نفى تهمة التحديد عن نفسه ؟

والجواب . أنه يدرك كما يدرك أى مسلم أنه لم يأت فى شرعنا نص صحيح صريح فى ذلك على الإطلاق، وهذا مما يعلمه العلم والعامى، فهو يخشى من هذه التهمة.

الثانى : أنه قد جاء عن المؤلف التصريح الواضح بتحديد السنة التى سيكون فيها الملحمة الكبرى وينزل فيها عيسى بن مريم عليه السلام فيقتل فيها اليهود وهو عام ٢٠١٢ ميلادية يعنى بعد عشر سنوات من الآن، فجاء فى صفحة ٧٠ (ص٤٩ فى النسخة الإلكترونية)ما نصه :

" سنة ٢٠١٢ م هى النهاية وليست بداية النهاية إذ أن بداية النهاية لدولة إسرائيل كما أسلفت ستكون على يدى المهدى ومن معه، ثم تكون النهاية لرجسة الخراب على يد روح الله عيسى عليه السلام والمؤمنين معه "

وأيضاً حدد المؤلف ظهور المهدى بقوله :

" ظهور المهدى بعد سنتين أو ثلاثة من اليوم

يعنى ٢٠٠٤ أو ٢٠٠٥ م فهل يستطيع أحد من الناس أن ينكر هذا التحديد؟

أم أن المؤلف يقصد من التحديد الساعة والدقيقة !؟

الثالث: أن تحديد المؤلف سالف الذكر إنما استنتجه من سفر دانيال كما ذكر هو فى ص ٧٠ (٤٩)، ولم يأت المؤلف بدليل واحد من شرعنا على صحة

مزاعمه .

مع انه ناقض نفسه وما قاله فى أول بحثه قال فى ص ٦ (ص٤ فى النسخة الإلكترونية): " وعندما وافقتهم - يعنى أهل الكتاب - فى قرب النهاية، وفارقتهم فى التحديد السافر، لم أكن عرافاً ولا منجماً، ولم أكن ناقلاً عن أدلتهم ولا تابعاً لهم، وإنما لنا أدلتنا ومصادرنا كما لهم أدلتهم وكتبهم "

وأترك التعليق للقارئ.

عبور القناة إلى الضفة الأخرى، لأن خط بارليف سيحرقهم ويحولهم إلى رماد، وان الخسائر ستكون رهيبة .. وذلك فى مقال اسماه " تحية للرجال " مما دعا " عبد الهادى ناصف " لأن يرد على هيكل برأى المصريين جميعاً فى صحيفة الجمهورية بمقال تحت عنوان "تحية مردودة من الرجال ويقصد مرفوضة" .

هذا جانب من فكر هذا الرجل، ولست هنا بصدد توجيه الاتهامات لأحد، ولكننا نذافع عن هذا الدين أن يدخل فيه ما ليس منه، وأيضاً فإن هناك أصولاً لمن أراد أن يكتب فى علوم الشريعة يجب مراعاتها، والرجوع إلى منهج السلف وأهل العلم فمن حاد عنها يجب إيقافه عند حده،حتى لا يسن فى الإسلام سنة سيئة فيجد له أتباعاً، ويكفينا ما نحن فيه .

الفصل الثانى

أسطورة هرمجدون والصهيونية

أسطورة هرمجدون والصهيونية

التعريف : الصهيونية حركة سياسية عنصرية متطرفة ترمى إلى إقامة دولة لليهود فى فلسطين تحكم من خلالها العالم كله .

معنى الكلمة و دلالتها :

اختلفت الآراء و الاتجاهات فى تفسير كلمة "الصهيونية"، فيقال أن الصهيونية تنسب إلى جبل "صهيون" فى جنوب بيت المقدس الذى جاء ذكره فى عدة مواضع من العهد القديم .

وفى دراسات أخرى أن كلمة صهيون Zion تدل على قلعة القدس أو المدينة التى حطمها داود، كما تستعمل كاسم للقدس و المعبد و جبل صهيون المقدّس، ثم أطلقت على جميع الأراضى المقدسة ابنة صهيون .. و بعد ذلك أصبحت رمزاً لماضى اليهود و مستقبلهم المرتبط بذكريات مضت عليها آلاف السنين .

و هكذا تشير كلمة الصهيونية إلى القيم الروحية و القوى التاريخية التى شكلت الشعور بالقومية اليهودية . و لا تعنى العودة إلى جبل صهيون قيام وطن سياسى لليهود فقط، بل تهدف إلى البعث الروحى للأمة بأسرها و استعادتها الأرض ذات الأصل التاريخى و إحياء ثقافتها القديمة و خلق بنيان راسخ الأقدام اقتصادياً و اجتماعياً .

فالصهيونية إذن استقرار بنى إسرائيل فى فلسطين (فى جبل صهيون و

ما حوله)، و تأييد ذلك بالقول أو بالمادة أو بالتشجيع الأدبى . فالصهيونى من اليهود هو :-

(١) من يؤثر البقاء فى فلسطين و الحياة فيها .

(٢) من يساعد بالمال أو بالتشجيع الأدبى على اتخاذ فلسطين وطناً لليهود

فالصهيونية تسعى بكل جهدها إلى إعادة مجد بنى إسرائيل و إعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى، و تعنى كذلك السيطرة على العالم و حكمه من القدس على يد ملك اليهود الذى هو فى زعمهم المسيح المنتظر .

الجذور التاريخية للصهيونية :

تستمد الحركة اليهودية جذورها التاريخية من تاريخ اليهود الدينى القديم منذ السبى البابلى و أحلامهم بإعادة بناء دولة فى فلسطين، و قد مرت هذه الحركة عبر التاريخ بأطوار عديدة .

الصهيونية الحديثة :

هى الحركة المنسوبة إلى "تيودور هرتزل"، هدفها الأساسى الواضح هو قيادة اليهود إلى حكم العالم بدءاً بإقامة دولة لهم فى فلسطين . و قد فاوض هرتزل السلطان عبد الحميد فى تركيا بهذا الخصوص فى محاولتين لكنه

أخفق، عندئذ سعت اليهودية إلى إزاحة السلطان العثمانى و إلغاء الخلافة الإسلامية .

تيودور هرتزل : Theodore Hertzel

لقد ظلت الحركة الصهيونية أشبه بجمعية خيرية يهودية إلى أن ظهر تيودور هرتزل . كان نمساوياً يهودياً يعمل صحفياً و مؤلفاً مسرحياً . ولد فى أغسطس سنة ١٨٦٠ و توفى فى يوليو سنة ١٩٠٤ . كان والده تاجراً ثرياً، عاش فى بيئة مَجَرية نصرانية و درس الحقوق فى فيينا، و بعد التخرج مارس الكتابة الأدبية، و اشتهر أمره فعين مراسلاً لصحيفة "نيوفرى برس" بباريس .

فى سنة ١٨٩٤ اُتُّهِم الضابط اليهودى الفريد دريفوس بالتجسس و بيع بعض الوثائق العسكرية الفرنسية لألمانيا، فلما قُدِّم للمحاكمة بإدانته ثارت ثائرة الرأى العام الفرنسى ضد اليهود ... حاول اليهود بكل الوسائل

مساعدة هذا الضابط اليهودى حتى استطاعوا بعد عشر سنوات إعادة محاكمته و استخراج الحكم ببراءته، و كان الغرض من ذلك كله دفع الفضيحة و إنقاذ اليهود من غضبة الشعب الفرنسى .

استغل هرتزل الحادثة و ألف كتابه (الدولة الصهيونية) داعياً لتأسيس دولة يهودية يهاجر إليها المضطهدون من يهود العالم، و اقترح تأسيس وكالة يهودية تتولى الأعمال التحضيرية الخاصة بأعمال التنظيم و المفاوضات

السياسية وإنشاء شركة يهودية تكرس جهودها لدراسة مختلف المسائل المالية و الاقتصادية الخاصة بتنفيذ الاقتراح، و لم يحدد هرتزل فى كتابه البقعة المختارة لاستيطان اليهود، و إنما ترك الاختيار للرأى العام اليهودى، إما الأرجنتين أو أفريقيا أو فلسطين .. و قد أعقب ظهور الكتاب حملات نقد عنيفة و قاسية .

- فى سنة ١٨٩٧ عقد المؤتمر الصهيونى الأول فى بازل بسويسرا من ٢٣-٢٥ من أغسطس شهده ١٩٦ يهودياً يمثلون عدداً كبيراً من الهيئات اليهودية العالمية، و فيه تم وضع برنامج الحركة الصهيونية . و تلخصت توصيات المؤتمر الأول فى :

١- تنظيم الحركة اليهودية و اتحاد الهيئات المتفرقة فى شتى أنحاء العالم.

٢- إيقاظ الوعى اليهودى .

٣- القيام بمساعى لدى مختلف الحكومات للحصول على موافقتها على أهداف الحركة الصهيونية .

وتنفيذاً لهذه التوصيات تأسست الشركة اليهودية لدولة اليهود و اعتبرت الإدارة المركزية لجميع الهيئات اليهودية، وأصبح صهيونياً كل من يعتنق المبادئ التى وضعت فى مؤتمر بازل و يدفع اكتتاباً سنوياً رمزياً قدره شلن واحد للمساهمة فى نفقات الهيئة التنفيذية . و قد كتب هرتزل بعد المؤتمر

فى صحيفته بفيينا يقول : (لو طُلِب إلىَّ أن ألخص أعمال مؤتمر بازل فإنى أقول بل أنادى على رؤوس الأشهاد أننى أسست الدولة اليهودية).

- المؤتمر الثانى ببازل فى أغسطس ١٨٩٨ : أسفر عن إنشاء بنك اعتبر الإدارة المالية للشركة اليهودية، و حدد رأسماله بمليونى جنيه إسترلينى .

- المؤتمر الثالث ببازل فى أغسطس ١٨٩٩ : و فيه تم مناقشة ميثاق الصهيونية العالمية و سياسة الصندوق المالى للاستيطان .

- المؤتمر الرابع فى لندن فى أغسطس ١٩٠٠ : و عقد بلندن للتأثير على الرأى العام البريطانى . و قد اجتمع هرتزل مع وزير خارجية بريطانيا فى محاولة للحصول على تأييد برطانيا لليهود .

- المؤتمر الخامس فى بازل فى أغسطس ١٩٠١ : و فيه كانت الدعوة إلى الاهتمام بالثقافة العبرية تمهيداً لإنشاء وطن اليهود القومى فى فلسطين، و اقترح تأسيس جامعة عبرية، و تقرر إنشاء البنك الوطنى اليهودى لتمويل عملية شراء الأراضى من عرب فلسطين .

- فى عام ١٩٠٢ حاول هرتزل الحصول على فرمان من السلطان التركى عبد الحميد فى أثناء زيارة الإمبراطور غليوم الثانى للأراضى المقدسة يُمنح بمقتضاه اليهود شبه استقلال ذاتى، إلا أن الإمبراطور الألمانى تهرب من هرتزل، ورفض السلطان عبد الحميد مطلب هرتزل و اكتشف المؤامرة الصهيونية.

- فى عام ١٩٠٣ فاوض هرتزل وزير داخلية روسيا على التصريح بهجرة اليهود إلى خارج روسيا مقابل إيقاف حملة الدعاية اليهودية ضد روسيا، و أخذت موافقة وزير مالية روسيا على إنشاء فرع للبنك اليهودى . و وافق هرتزل على فكرة وزير المستعمرات البريطانية باستيطان اليهود لهضبة قريبة من نيروبى عاصمة كينيا، مع وعد بالاستقلال الذاتى و تعيين حاكم يهودى .

- المؤتمر السادس فى بازل فى أغسطس ١٩٠٣ : و هو آخر مؤتمر شهده هرتزل قبل وفاته، و تعرض فيه للنقد العنيف بسبب موافقته على وطن يهودى خارج فلسطين، و قرر المؤتمر عدم قبول إنشاء وطن يهودى فى أفريقيا إلا كملجأ مؤقت .

و قد توفى هرتزل فى يوليو ١٩٠٤، ثم توالت المؤتمرات الصهيونية بعد ذلك فى بازل و لاهاى و هامبورج و فيينا و براج و زيورخ و جينيف، ثم لما أقيمت دولة لليهود على أرض فلسطين عقد المؤتمر الثالث و العشرين عام ١٩٥١ فى القدس .

وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة

تبين لنا من خلال هذه القراءة الجديدة، فى تاريخ بنى إسرائيل، فى القرآن والسنّة والتوراة والتلمود، أن البابليّون هم أصحاب البعث الأول، وبناءً على ذلك، يكون العراقيون حصرا، بلا أدنى شك، هم أصحاب البعث الثانى . وسيتبين لنا فى هذا الفصل، من خلال قراءة جديدة للواقع، بأن اليهود على

علم بهذا البعث وأصحابه، وظنّا منهم بأنهم قادرون على مخالفة أمر الله، بمنع تحقق البعث الثانى، خططوا ونفّذوا وما زالوا يخططون، لدرء خطر هذا البعث الموعودين به، بإبادة أصحابه بشتى الوسائل والسبل، لقناعتهم بأن بقاء دولتهم، يتحتم عليه محو العراق وشعبه عن خريطة العالم .

حقيقة ما يُضمره الغرب للعراق :

دأبت أمريكا ومن سار فى ركبها، على إعلان عدائها لقيادة العراق الحالية، والرغبة فى إسقاطها، وجعلت من بقاء القيادة العراقية، على سدة الحكم فى بغداد، وسابقتها فى غزو الكويت، مثالا لعدوانية هذه الحكومة وخطورتها على جيرانها، وذريعة لإدامة الحصار، لتجريد العراق من مقومات وجوده . ليصل العالم والشعب العراقى إلى قناعة، بأن المستهدف حقيقة من وراء الإصرار الأمريكى، على إبقاء الحصار مفروضا على العراق، هى القيادة العراقية الحالية، بتوجهاتها العدوانية ضد جيرانها، مما يُهدد أمن منطقة الخليج الحيوية للعالم، وبإسقاط هذه القيادة، ستنعم منطقة الخليج بالأمن مجددًا، حسب الرؤى الأمريكية .

ومع أن أمريكا لا تُبدِ أدنى اهتمام بمصير الشعب العراقى، بل على العكس من ذلك، كان وما زال بعض مسؤوليها من اليهود، يُبدون سعادة عارمة، بلا خجل أو مواربة، بوقوع المزيد من الضحايا فى العراق، حيث الغالبية العظمى من الأطفال، الذين سقطوا، من جراء نقص الأدوية والغذاء، حين تصرح وزيرة الخارجية الأمريكية (أولبرايت)، فى حوار صحفى فى

محطة (CBS) : بأن تسبّب أمريكا بموت نصف مليون طفل عراقى " أمر يستحق العناء ". إلا أن العالم أجمع، والشعب العربى وحتى الشعب العراقى، لم يبحث عن الدوافع الحقيقية، لهذا العداء الأمريكى للعراق .

" إشعياء : ١٣: ١٦: كل من يُؤسر يُطعن، وكل من يُقبض عليه يُصرع بالسيف، ويُمزّق أطفالهم على مرأى منهم، وتُنهب بيوتهم وتُغتصب نسائهم " .

" إشعياء : ١٤: ٢٠-٢٢: فذريّة فاعلى الإثم، يبيد ذكرها إلى الأبد . أعدّوا مذبحة لأبنائه جزاء إثم آبائهم، لئلا يقوموا ويرثوا الأرض فيملئوا وجه البسيطة مُدناً . يقول الرب القدير : " إنى أهبّ ضدهم، وأمحو من بابل، اسماً وبقيةً ونسلاً وذريةً، وأجعلها ميراثاً للقنافذ، ومستنقعاتٍ للمياه، وأكنسها بمكنسة الدمار " .

" وهذا ما يُعلنه الرب : ها أنا أُثير على بابل، وعلى المُقيمين فى ديار الكلدانيين ريحا مُهلكة، وأبعث إلى بابل مُذرّين يُذرّونها، ويجعلون أرضها قفرا، ويُهاجمونها من كل جانب فى يوم بليّتها . ليوتر (يُذخّر) الرامى قوسه وليتدجّج بسلاحه، لا تعفوا عن شُبّانها، بل أبيدوا كل جيشها إبادة كاملة، يتساقط القتلى فى أرض الكلدانيين، والجرحى فى شوارعها (من المدنيين طبعا) " .

وباستجابة (أولبرايت)، وكافة الجوقة اليهودية، فى الإدارات الأمريكية المتعاقبة، لأوامر الرب القدير، الواردة فى التوراة، استطاع بنوا إسرائيل، من ردّ الصاع صاعين لأهل بابل، وهكذا يكون العراقيون حصرا، من رُدّت لبنى

إسـرائيل الكرة عليهم، إذ أنهم أنـزلوا بالعـراقـيين أضعـاف أضعـاف، مـا أنزله البابليون بهم فى المرة الأولى .

ولو عدنا إلـى كامل النصوص التوراتية، ونظرنا إلـى مـا يجرى حقيقة على أرض الواقع، لتبين لنا أن المستهدف الحقيقى، هـو العراق لأنه أرض البعث، والشعب العراقى لأنه يحمل صفة أهل البعث، والقيادة العراقية لإرسالها البعوث فى كل الحروب العربية الإسرائيلية، وعدم قبولها وتوقيعها على اتفاقيات الهدنة، ولإعلانها المتجدّد عن نية البعث، بمناسبة وبدون مناسبة، فى السنوات الأخيرة، منذ انتهاء حرب الخليج الأولى، ورفضها لمعاهدات السلام والتطبيع، ولإصرارها على مقولة، فلسطين عربية من البحر إلى النهر، والدعوة إلى تحرير فلسطين بالقوة .

وفى حال استطاع الغرب اليهودى إسقاط القيادة العراقية، فسيكون البديل، كما هى العادة، قيادة موالية للغرب، ومعادية للشعب العراقى وللأمة العربية، المتخمة أصلا بالأعداء من أبناء جلدتنا، لتزيد الأمة ذلا وهوانا أضعافا مضاعفة، أما مصير العراق بين يدى هكذا قيادة، فسيكون بلا شك كما يتمنّى يهود الغرب والشرق ويشتهون، ليتحقّق لهم، ما لم يحلموا بتحقيقه، بجيوشهم المدجّجة بالأسلحة المتطورة . وانظر إلى حال ألمانيا بعد الحرب، وانظر إلى حال الاتحاد السوفييتى، العدو الثانى للوجود اليهودى فى فلسطين، كما تُخبر التوراة، عندما استطاعوا إيصال الخونة - من شعبه - إلى سدة الحكم، وما فعلوه به . لنقول بأن مهمة القيادة المستقبلية للعراق، فيما لو أُسقطت القيادة الحالية، هى :

- تفكيك العراق وتقسيمه إلى دويلات صغيرة، كردية وسنية وشيعية، فى الشمال والوسط والجنوب .

- إثارة الحروب والفتن بين هذه الدويلات، لإشغالها عن المهمة الأساسية، التى أنيطت بأصحاب البعث .

- تدمير الاقتصاد وإفقار الشعب العراقى، ليركض لاهثا وراء قروض صندوق النقد الدولى .

- حظر امتلاك وتصنيع الأسلحة .

- تقديم فروض الطاعة والولاء ليهود الغرب والشرق، وإنهاء حالة الحرب مع إسرائيل، ومباركة عملية السلام .

فالمعضلة الأساسية لدى الغرب، المملوك من قبل اليهود، هى وجود عراق قوى وقادر، فكما صدقت نبوءات التوراة، فى عودتهم من الشتات إلى فلسطين . فهم يخشون أيضا، صدق النبوءات الأخرى، فيما تصفه فى نصوص عديدة، من عقاب حتمى، غاية فى البشاعة، سينزل بهم بعد العودة إليها، من قبل أصحاب البعث الأول، بالرغم مما أُضيف إليها من نصوص قليلة مضللة، لا تُسمن ولا تغنى من جوع، تُخبر عن ملكهم الأبدى، تبعث فى تخبّطها وعدم منطقيتها، فى نفوسهم القلق، أكثر مما تبعث على الطمأنينة . ليجد اليهود أنفسهم ملزمون، بتسخير كل إمكانياتهم، دون كلل أم ملل، لدفع قادة الغرب إلى القضاء المبرم على العراق، كما هى عادتهم دائما وأبدا،

يدفعون الآخرين لخوض حروبهم نيابة عنهم، مذ طلبوا من موسى وربه الذهاب للقتال عنهم، وحتى حربهم الأخيرة على العراق، التى خاضتها ومازالت تخوضها، أمريكا وبريطانيا فى العلن، وفرنسا المنافقة فى الخفاء، والحرب الوحيدة، التى كسبها اليهود منفردين فى مواجهة جيش، هى عند دخولهم فلسطين مع طالوت فى المرة الأولى، وكان ذلك بتأييد من الله للقلة المؤمنة، وبشجاعة نبى الله داود عليه السلام، فالمسألة لديهم مسألة حياة أو موت، وبقاء العراق، يعنى تبخر أحلام الشعب اليهودى بسيادة العالم من القدس .

ومما يؤذى الأذان اليهودية فى الشرق والغرب هو سماعها، لتصريحات هذه القيادة المتكررة، بضرورة تحرير فلسطين من البحر إلى النهر، وطرد اليهود منها، مما يقضّ مضطجعهم فى فلسطين، ويُعيد إلى أذهانهم تلك الذكريات الأليمة للبعث الأول، التى أشبعتها أسفار التوراة وصفا وتفصيلا، لتتراءى لهم، صورة نبوخذ نصر وهتلر وصلاح الدين، دفعة واحدة، فى شخص الرئيس العراقى .

الخيارات القائمة أمام اليهود، لدرء الخطر العراقى :

١- العمل على بقاء الحصار على ما هو عليه، ما أمكنهم ذلك، ومنع أى محاولة لتفكيكه أو إضعافه . والاستمرار فى نهب ثروات العراق، وحرمانه من تطوير أسلحته وتجديدها .

٢ - محاولة إسقاط القيادة العراقية، عن طريق إحداث فتن وثورات

داخلية، أو عن طريق مواجهة عسكرية واسعة النطاق، بعد خلق المبررات لها، باستفزاز جديد للعراق للقيام بعمل عدوانى داخلى، ضد الأكراد فى الشمال أو الشيعة فى الجنوب، أو القيام بعمل عدوانى خارجى، ضد إحدى دول الجوار .

٢- ضرب العراق نوويا كخيار أخير، وهذا الاحتمال غير قائم حاليا، حيث أنه مرفوض عالميا، فمثل هذا الأمر، سيؤلب العالم بأسره ضد أمريكا ومؤيديها . ولكن هذا الاحتمال سيقوى، فى حال فشلت الخيارات السابقة، وخاصة عند امتلاك أمريكا للدرع المضاد للصورايخ البالستية .

ـ والسؤال الآن : هل من الممكن أن يكون هناك ضربة نووية للعراق ؟

جاء فى سفر الرؤيا ما نصه : " وسكب الملاك السادس، كأسه على نهر الفرات الكبير فجفّ ماؤه، ليصير ممرا لملوك القادمين من الشرق " .

أما فى السنة النبوية فقد جاء ما نصه : عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ فَمَنْ حَضَرَهُ فَلَا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا " . رواه البخارى، وأخرجه مسلم والترمذى، وأبو داود وابن ماجه وأحمد . وفى نص آخر من رواية مسلم : " لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ "، يحسر أى ينكشف عن .

يُخبر النص فى سفر الرؤيا، أن شيئا ما سيسكب على نهر الفرات فيجف ماؤه، ويُخبر الحديث الصحيح، عن انحسار الفرات عن كنز من ذهب، قبل

قيام الساعة، وانحسار الفرات يعنى ذهاب ماءه، فهل سيكون جفافه نتيجة، لما تنتجه الأسلحة النووية، من حرارة شديدة عند انفجارها .

وبالإضافة إلى ما ورد من مخططات، لتدمير العراق والإطاحة بقيادته، كما جاءت فى تقرير واشنطن السابق، يقول الصحفى فتحى خطاب من القاهرة، فى مقال له فى جريدة العرب اليوم الأردنية (لم أنتبه لتوثيق تاريخ صدورها، ولكنه على الأرجح كان فى بداية شهر ٣ /٢٠٠١) :

" حذّر خبراء عسكريون من مُخطط عسكرى أمريكى إسرائيلى، يستهدف فرض السيطرة المُطلقة على المنطقة، وتطبيق ما يُعرف فى (البنتاغون) بخطة إعادة دمج المنطقة عسكريا وأمنيا ... وأن توجّه (شارون) لاستحداث وزارة تعنى بتطوير الأسلحة النووية، وأسلحة الدمار الشامل، واستحداث وزارة للشؤون الاستخباراتية، فى سابقة هى الأولى من نوعها، يأتى فى إطار ما تفرضه ضرورات نظام الحماية الأمنية الجديد ... وكشف الخبراء العسكريون فى مصر، عن الترتيبات الأمريكية لإنشاء أكبر شبكة صاروخية فى منطقة الخليج العربى، تتمتع بمدى قتالى واسع، يشمل العراق وإيران ودولا أخرى، بالإضافة إلى مناطق شمال إفريقيا والبحر الأحمر . لضمان أمن منطقة الخليج، وملاحقة الطائرات المُغيرة، والتدمير السريع لآية أهداف مُعادية .

وأكد الخبراء أن وزير الخارجية الأمريكى (كولن باول)، حصل على موافقة دول خليجية ... على إنشاء الشبكة، التى سيتم تزويدها بأحدث

أجهزة الاتصالات الحديثة والإنذار المبكّر، التى ستكون لها القدرة على التعامل السريع، مع العمليات الطارئة، وقادرة على منع إصابة الشبكة، بأى خلل أثناء العمليات العسكرية . وسوف تتحمل دول الخليج النصيب الأكبر، من تكلفة مشروع هذه الشبكة الصاروخية، وأن هناك مشاورات واتصالات عسكرية، للترتيب لإنشاء هذه الشبكة، ولإعداد التفصيلات الفنية المتعلّقة بها ... وحذّر الخبراء من المُخطط العسكرى الإسرائيلى، لضرب العراق بالقنابل النيترونية، والتى سيتم إطلاقها على منطقة غرب العراق، وفق إعلان (شارون) . التى تعتبر نقلة نوعية فى التسلح بالمنطقة ...

وأوضح العالم الفيزيائى الدكتور طارق النمر، بقوله : " أن القنابل النيوترونية النووية، هى قنابل إشعاعية، ذات أحجام مختلفة، منها أسطوانات إبرية فى حجم القلم، وتستطيع قتل جميع الكائنات الحية، فى مساحة قطرها مُحدّد سلفا، وتأثير كل قنبلة منها يتحدد حسب حجمها، بحيث يتم زراعتها داخل الأراضى العراقية، وفى الوقت المحدد، سيتم تفجير هذه القنابل بواسطة أشعة الليزر ... وأن إسرائيل مهتمة بتجربة أسلحتها الجديدة على أرض العراق، بعدما نفذت عدة تجارب أسفل مياه خليج العقبة ... ولا أستبعد أن تعمل أمريكا وبريطانيا، على زرع قنابل نيوترونية فى مناطق من العراق، بحيث تبقى بغداد تحت التهديد الدائم، بتدمير حقول القنابل النيوترونية بواسطة أشعة الليزر، فى نطاق العقوبات الذكية " .

ما لفت انتباهى فى هذا التقرير الصحفى، هو انسجامه مع المخاوف اليهودية التوراتية، حيث يُسمّى الدول والمناطق التى تضم الدول المعادية

لإسرائيل توراتيا، ومنها إيران والعراق، وليبيا في شمال إفريقيا، والسودان وإثيوبيا بمحاذاة البحر الأحمر، واللتان كانتا قديما دولة واحدة، ويُشير أيضا إلى ضرورة ضرب العراق، حسب ما تدعو وتُحرّض عليه النصوص التوراتية . ولفت انتباهي أيضا التركيز على منطقة غرب العراق، التي من المتوقع، أن يتواجد فيها الجيش العراقي، قبل تحركه لغزو لإسرائيل .

وفي تقرير آخر من واشنطن، للصفحي محمد دلبح، نُشر في جريدة الدستور الأردنية (التاريخ غير موثّق)، يقول فيه :

" تبحث وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون)، إنتاج قنابل نووية من نوع جديد، قادرة على اختراق مراكز القيادة، والتحصينات التي يستخدمها الزعماء والقادة . ونقلت صحيفة (واشنطن بوست) عن مصادر في الحكومة الأمريكية والكونغرس قولها : أن الهدف من إنتاج هذه القنابل، هو تجنّب ما تُسمّيه الحكومة الأمريكية الأضرار الجانبية، التي تُحدثها الأسلحة التدميرية بأنواعها . ويقول المدافعون عن هذا النوع من القنابل النووية الصغيرة - مقارنة بغيرها - أنها قد تعمل على قيام الولايات المتحدة، بتخفيض مخزونها الحالي من القنابل النووية، دون أن تتعرّض مفاهيمها الأمنية لأخطار أو تعديلات . ونسبت الصحيفة إلى مستشاريّ وزير الدفاع الأمريكي (دونالد رامسفيلد) قوله : أن الأسلحة النووية الأمريكية الحالية، لن تردع الرئيس العراقي صدام حسين، لأنه يعلم بأن الرئيس الأمريكي، لن يقوم بإلقاء قنبلة نووية - بقوة مائة كيلو طن - على بغداد، ليُدمّر المدينة بأكملها، ويقضي على سُكّانها، بهدف القضاء على أسلحة الدمار الشامل ...

ومن ناحية أخرى، يعتزم اتحاد العلماء الأمريكيين، إصدار تقرير هذا الأسبوع يقول فيه " أن إضافة هذا النوع من القنابل النووية، إلى المخزون النووى فى العالم، سيجعل استخدام هذا النوع من السلاح أكثر احتمالا " .

أستطيع القول بأن التفكير الأمريكى الإسرائيلى العسكرى على المدى القريب، بعد المعارضة والإدانة العالمية لضربهم بغداد مؤخرا، سيكون محصورا فى الردع وليس فى الهجوم، لعدم وجود ذريعة للهجوم مقبولة دوليا، (كذريعة القضاء على أسلحة الدمار الشامل العراقية)، منتظرين فبركة مؤامرة جديدة، أو تحرّك عراقى خاطئ، وأعتقد أنهم سيُحاولون استفزازه فى المستقبل القريب، بشتى الوسائل والسبل، ليعلنوا عليه حربهم الشاملة . أما على المدى البعيد - إن لم يُعطهم العراق الذريعة لشنّ تلك الحرب - أستطيع القول، أنهم وفور امتلاكهم للدرع النووى - الذى سيكون جاهزا بعد خمس سنوات حسب تقديرهم - والذى سيُوفر لهم الحماية من أى ردود فعل نووية، سيشنّون حربهم المُقدّسة على العراق، وسيقومون بضربه بوابل من القنابل النووية، حتى يغدو صحراء قاحلة خاوية على عروشها . لكى يتخلص يهود العالم، من هذا الرعب التوراتى المُسلّط على رقابهم، لينتظروا بسلام ملكهم الذى سيظهر فى القدس، والذى سيعيشون معه أحلامهم الوردية إلى الأبد، ومن المحتمل جدا أن تكون الضربة النووية للعراق، كرد فعل أمريكى على الدخول العراقى لفلسطين، لتبدأ بذلك الحرب العالمية الثالثة .

الموقف العالمى إزاء العراق :

كانت غاية الغرب فى السنوات الأخيرة، هى تدمير العراق تحقيقا لرغبات اليهود فى حماية إسرائيل . وما كان للغرب أن يُحقّق هذا الهدف، بالخروج على الأعراف والمواثيق الدولية، بأى شكل من الأشكال، كالقيام بعدوان مباشر ومكشوف على العراق، وما كان لأمريكا بعظمتها، أن تقوم منفردة بعمل عدوانى ضد العراق، لأنها فى هذه الحالة ستجابه العالم بأسره . وبما أن مآرب اليهود، من خلال إشعال حرب الخليج الأولى، لم تتحقّق . بل على العكس من ذلك تماما، خرج العراق من هذه الحرب محتفظا بقوته، وقامت قيادته بتهديد إسرائيل جهارا نهارا، بحرق نصف إسرائيل حال اعتدائها على أى بلد عربى، فكانت هذه القيادة " كمن حكّ لليهود على جرب " .

آنذاك قامت الدنيا ولم تقعد، طبل وزمر فى الشرق والغرب، لتأكيد عدوانية العراق ونازيته، فحرق اليهود هو فعل هتلرىّ نازىّ، وكان ذلك لتهيئة الرأى الغربى والعالمى، لاستقبال هتلر جديد يسعى لحرق اليهود . وفى الخفاء كانت تُطبخ مؤامرة جديدة، تمخّضت عن غزو العراق للكويت، وبذلك استطاعت أمريكا، أن تُوجد مبرّرا قانونيا لتدمير العراق، فغزو العراق للكويت، كان مخالفا للقوانين والأعراف والمواثيق الدولية، وبذلك استطاعوا إضفاء الشرعية على عدوانيتهم، لتحقيق مآربهم الحقيقية تحت غطاء الشرعية الدولية، وبدلا من أن تواجه أمريكا المعتدية العالم بأسره، أصبحت الضحية العراقية تواجه العالم، بعد أن أصبحت معتدية، كما حصل مع ألمانيا، بنفس السيناريو ما قبل الحرب العالمية الثانية، وبكل حيثياته، والسبب

هو عداء قيادة البلدين لأسياد العالم، وبذلك أُجبرت دول العالم المختلفة، على اتخاذ موقف معادى للعراق، حتى من قبل حلفاءه التقليديين، فى ذلك الوقت .

أما فى الوقت الحالى، فقد بدأت دول العالم مؤخرا، تصحو من أكاذيب الإدارات الأمريكية المتعاقبة، لتبرير ما تنتهجه من سياسات إزاء العراق، فكل المبرّرات السابقة لم تعد موجودة، وأصبحت الأعمال الأمريكية العدوانية، تُجابه بالمعارضة الشديدة من قبل أغلب دول العالم . وحتى قرارات الشرعية الدولية، تميل كثير من الدول ومنها روسيا والصين، إلى التغاضى عن البحث، فى مسألة التزام العراق بها من عدمه، ومنها مسألة فرق التفتيش عن الأسلحة . بل تعمد هذه الدول أحيانا، إلى خرق هذه القرارات سرا، حتى وصل الأمر بمجلس الدوما الروسى، إلى المطالبة بالتصويت، على عملية رفع الحصار عن العراق من جانب واحد . أما الأكثر تمسكا بقرارات الشرعية الدولية، فهم الذين يذرفون دموع التماسيح، على الشعب العراقى، بدعوى أنهم حريصون على مصلحة هذا الشعب، وأن قيادة هذا الشعب ليست حريصة عليه، بما أنها عصت وتمرّدت على قرارات الشرعية الدولية، التى جعلوا من يعصيها، بمنزلة من عصى الله، إن لم تكن أعظم .

وأما دعوى الأمريكان، بأن العراق يُشكل تهديدا للمصالح الأمريكية، فى منطقة الشرق الأوسط، وأهم هذه المصالح، هى تدفق النفط بأسعار معقولة، واستمرارية فتح الأسواق الخليجية للبضائع الأمريكية، فهى دعوى باطلة، فهذان الأمران هما تحصيل حاصل، منذ اغتيال الزعيم العربى الوحيد،

الذى عارض الإله الأمريكى بقطع النفط، ليشلّ بذلك العالم الغربى بأسره . وأما التذرّع بعدوانية العراق على جيرانه بغزوه للكويت، فهو محض افتراء، لأن من أجبر العراق على غزو الكويت، هم الأمريكان بعلم، وحلفائهم الكويتيون بغير علم، وبتخطيط وتدبير وتشجيع من الأمريكان أنفسهم لكلا الطرفين، وبمساعدة من العرب أنفسهم . لنخلص إلى القول أن العداء الأمريكى للعراق، أصبح غير مبرّر، فى نظر شعوب العالم كافة، حتى من قبل الشعب الأمريكى نفسه، الذى أصبح يُحرج قادته، بتفنيد كافة الحجج والذرائع، التى يُبرّرون فيها مواقفهم المتناقضة من العراق وإسرائيل .

ولنخلص إلى القول، أولا ؛ بأن الموقف العالمى إزاء الصراع الأمريكى العراقى، أصبح مختلفا بل مغايرا لما كان عليه فى السابق، فهناك بعض الدول العظمى وحتى الصغرى منها، باتت تتخذ موقفا مناهضا لأمريكا ولإسرائيل، ومتعاطفا مع العراق وفلسطين، وخير مثال على ذلك موقف كولومبيا فى مجلس الأمن المؤيد، لإرسال قوة حماية دولية للفلسطينيين، مبدية عدم اكتراثها بمقاطعات أمريكا الاقتصادية، وموقفى كل من روسيا والصين . وثانيا ؛ بأن الموقف الأمريكى المعادى للعراق، عند عدم عزوه للمخاوف التوراتية اليهودية، يُصبح أمرا لا يُمكن فهمه من قبل الآخرين .

الموقف العربى من العراق :

دأبت أمريكا على دفع الأمور، باتجاه جعل الرأى العالمى والعربى والعراقى، يعتقد بأن السبب فى معاناة الشعب العراقى، هو القيادة العراقية

بتوجهاتها العدوانية، حتى بات كثير من العرب، يعتقدون بأن هذه القيادة هى السبب الحقيقى، فيما وصل إليه العرب من ذل وهوان وفرقة، وضياع لثرواتهم النفطية، فضلا عما كانوا عليه فى السابق . بل مضى الكثير منهم إلى أبعد من ذلك، فاتهموا هذه القيادة بالتآمر والتواطؤ مع الغرب نفسه، ضد العرب وضد الشعب العراقى، ليصبح إسقاط القيادة العراقية مطلبا عالميا وعربيا وعراقيا، وليبقى رفع المعاناة عن الشعب العراقى مرتبطا، بإسقاط القيادة العراقية الحالية . وهذا مما جعل البعض يذهب إلى القول أيضا، أن الغرب مستفيد من وجود القيادة العراقية على رأس السلطة، لذلك لا يرغب بإسقاطها، وأن الرئيس العراقى متآمر ومتواطئ مع أمريكا، للإضرار بشعبه وأمته، وحتى ضربه لإسرائيل كان فقط، لذر الرماد فى العيون . ولو أن أمريكا لم تكن مستفيدة من وجوده، لعملت على إزاحته، تأليها من أولئك لأمريكا بغير علم، وكأنّها القادر على كل شىء .

وكما أخطأ الشريف حسين بوضع ثقته فى الإنكليز، فى الحرب العالمية الأولى، وساهم بتنفيذ مخططات اليهود، من حيث لا يدرى، أخطأت القيادة العراقية مرتين، عندما وثقت بأمريكا وبعض مواليها من العرب، المتآمرين فى ظهر الغيب، فانطلى عليها معسول الكلام، فسيق العراق كما يُساق الفهد إلى قفص الصياد، فدخل حربين مدمرتين، كان الهدف منهما تحطيم قدراته . وعلى ما يبدو أن هذه القيادة استيقظت من غفوتها، فور دخولها للكويت، وانكشاف الوجه الحقيقى لأمريكا، ولكن بعد فوات الأوان، فانسحبت من حرب الخليج الثانية، لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، ولكن المتآمرون على العراق من

عرب وعجم، لم يُعطوها الفرصة لالتقاط أنفاسها، فتوالت قرارات مجلس الأمن تباعا، وكان الحصار الذى لم يكن فى الحسبان، وكانت لجان التفتيش، وكانت التعويضات، فحُصر المارد العراقى، فى قمقم قرارات مجلس الأمن الدولى، ريثما يجد المتآمرون عليه طريقة للإجهاز عليه تماما .

كان مقتل القيادة العراقية الأول، الذى استغله المتآمرون خير استغلال، هى ما يتمتع به العراقيون إجمالا، من صفات العزة والأنفة وامتلاكهم للقوة، وعدم قبولهم للذل والهوان، والتطاول عليهم من قبل الآخرين . فعندما أُغرى الكويتيون بالتطاول على العراق، كانت الحرب الانتقامية . وكان المقتل الثانى وما زال، هو أن العراقيين رجال حرب، وليسوا برجال مكر وكذب ومراء . لذلك كان من السهولة بما كان، أن تنطلى عليهم دسائس المكرة الفجرة من الغرب والشرق . وأما رجم القيادة العراقية بالخيانة والتواطؤ مع الغرب، من بعض المحبطين العرب، فذلك أولا : لجهلهم بما يدور فى مطابخ الغرب والشرق، ضد هذه الأمة بشكل عام، وضد العراق بشكل خاص، وثانيا : لخيبة أملهم فيما عقدوه من آمال، على القيادة العراقية، لرفع حالة الذل والهوان المزمنة التى يُعانون منها، وخاصة بعد أن توقفت الصواريخ العراقية، التى كانت تضىء سماء العروبة، لتدك معاقل الصهاينة، قبل أن تتحقّق أحلام الشعب العربى فى العزة والكرامة .

دوافع ومبررات العراق لمحو إسرائيل عن الوجود :

١ - التخلّص من الشعور بعقدة الذنب، حيث أن أفعال القيادة العراقية،

أضرّت حقيقة بالشعب العراقى والأمة العربية، حتى لو كانت عن غير قصد..

٢ - تبيض الصفحة ونفى تهمة الخيانة والتواطؤ، حيث أن القيادة العراقية، أصبحت متهمة من قبل الآخرين .

٣ - ضرورة التعويض عما لحق الشعب العراقى والأمة العربية، من ذل وهوان نتيجة الانكسار العراقى .

٤ - إثبات القدرة العراقية على النهوض بالأمة العربية، وقيادتها لما تصبو إليه من منازل العز والكرامة، والتى طالما كانت تتحدث عنها فيما مضى، ولكنها لم تفلح لغاية الآن، مما شكّك فى مصداقية القيادة العراقية، فى تصديها لهموم الأمة العربية، كما تدّعى .

٥ - إثبات صدق تبنى القيادة العراقية، لمقولة " عاشت فلسطين حرة عربية من البحر إلى النهر "، والتى تُعتبر من أولويات الحزب الحاكم .

٦- الخروج من الوضع المأساوى والمُهين، الذى نجم عن الحصار الأبدى، المفروض على العراق منذ أحد عشر عاما .

٧ - قطع الطريق على المخططات اليهودية الأمريكية لتدمير العراق، التى أصبح العراقيون يعونها تماما .

٨ - الانتقام من التطاول الإسرائيلى الجبان، بضرب المفاعل النووى

العراقى، أثناء انشغاله فى الحرب مع إيران .

٩ - الانتقام من التطاول الأمريكى، بتكنولوجيته الجبانة، أثناء وما بعد حرب الخليج الثانية .

١٠ - إظهار عدم مقدرة أمريكا، على حماية مسخها الخداج فى المنطقة، فى أى مواجهة عسكرية حقيقية .

١١ - سلبية مواقف القيادات العربية غير المبرّرة من العراق، ويأس القيادة العراقية وقنوطها من هذه القيادات، خاصة بعد مؤتمرى القمة الأخيرين، فى القاهرة وعمان .

١٢- تعلّق آمال الشعب الفلسطينى اليائس، بصحوة المارد العراقى المحاصر، وخروجه من الإقامة الجبرية فى القمقم . وهذا ما يُظهره الفلسطينيون أثناء مسيراتهم، من خلال رفع صور الرئيس العراقى، والأعلام العراقية .

١٣ - حاجة الشعوب العربية إلى بطل حقيقى يعيد لها أمجادها، فى زمن عزّت فيه البطولة، إلا من بطولات، على نمط بطولات الدون كيشوت، فى معاركه مع طواحين الهواء، التى ما فتئت تتغنى بها وبأبطالها شاشات التلفزة العربية، ليلا ونهارا .

١٤ - العراق، غريق لن يخشى البلل، وعلى ما يبدو، أنه سيعمل على مبدأ " أنا والطوفان من بعدى "، وإن لم يكسب، فلا شىء يخسره .

١٥- الاستفزاز أو العدوان الأمريكى القادم، بناءً على التحريض اليهودى، كما ورد فى تقرير واشنطن، بإثارة مسألة المفتشين، مع نهاية شهر ١١/٢٠٠١م، أو بإثارة فتنة جديدة، تدفع العراق للقيام بعمل عدوانى، داخل أو خارج أراضيه .

النص القرآنى يتحدّث عن علاقة ثأرية بين طرفين، ولا اعتبار لأى طرف آخر :

يتحدّث النص القرآنى عن نزاع بين طرفين، فى سورة الإسراء، تربط ما بينهما علاقة ثأرية متأصلة فى النفس اليهودية، منذ آلاف السنين، ولا يضع فى حسبانه أى طرف آخر، مهما عظُم شأنه أو صغُر، وكأنه لا يوجد على الكرة الأرضية، سوى اليهود وأولئك العباد . وهذا ما نجده فى الآية السادسة والخمسين من سورة الإسراء (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ، فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ، وَلاَ تَحْوِيلًا (٥٦)، ولفظ (الضُّرّ) ورد فى القرآن، (٢٩) مرة فقط، وبمعنى واحد هو الأذى أو العذاب فى الحياة الدنيا، والمعنى الإجمالى للآية، بأن الله سبحانه وتعالى، يُخاطب أُناسا أثناء نزول العذاب بهم متحديا إيّاهم، بدعوة من اتّكلوا عليهم من دونه، لرفع عذاب الله عنهم . ووعد الآخرة هو وعد إلهى لليهود بالعذاب - وليس للمسلمين بالنصر - سيقع لا محالة، والذين نهاهم الله فى نفس السورة، عن اتخاذ وكلاء من دونه، هم بنوا إسرائيل أنفسهم، ولن يملك أحد من الجن والأنس، رفعه أو حتى تحويله عنهم، ولكن كيف ؟

لنتفق أولا على أن تحقق هذا الوعد، بغزو العراق لإسرائيل، يعتمد أساسنا على انفراد العراق بإسرائيل، ويمكن لهذا الأمر أن يتحقّق فى حالتين :

الاحتمال الأول : أن يكون هذا الغزو مسبوقا، بدمار جميع القوى العسكرية التى يمتلكها الغرب وإسرائيل، كنتيجة لتدخل بشرى بقيام حرب نووية عالمية، بين الغرب والشرق، أو كنتيجة لتدخل إلهى، بإحداث كوارث طبيعية هائلة فى الغرب، شبيهة بأحداث يوم القيامة .

الاحتمال الثانى : أن يكون هذا الغزو ضمن معطيات الواقع الحالى، مع بقاء جميع القوى العسكرية التى يمتلكها الغرب وإسرائيل . باستخدام العراق لتقنيات وخطط عسكرية بسيطة، تحمل فى طياتها منطق عسكرى جديد، لم تألفه الشعوب ولا تتوقعه ضمن المعطيات الحالية، يكون من شأنه أثناء الغزو، إلغاء أو تهميش القدرات العسكرية الإسرائيلية والغربية كليا .

والاحتمال الأول ضعيف جدا، حيث أنه يتطلب أن تقوم القوى الغربية، بفعل عدوانى يُهدّد الاستقرار العالمى، مما يُجبر القوى الشرقية المتمثلة بروسيا والصين مثلا، على الرد بشكل عنيف ومدمّر، لإعادة الأمور إلى نصابها . وضمن المنظور القريب لا يوجد من الأسباب، ما يدفع القوى الغربية للقيام بمثل هذا الفعل العدوانى . أما الفعل الإلهى بتدمير القوى الغربية، فهو أمر مستبعد كليا، لأن الأحاديث النبوية، فيما يُخص الفترة الزمنية التى يظهر فيها المهدى، تُشير إلى فناء التكنولوجيا العسكرية وغير العسكرية بمجملها، سواء ما يمتلكه الشرق أو ما يمتلكه الغرب، ولا تُشير

إلى فناء جميع الدول والشعوب، التى تمتلك هذه التكنولوجيا، فكيف فنيت التكنولوجيا بكليتها، ولم تفنى الشعوب ... ؟!

وهذا مما يؤكد أمرين، أولا : بقاء بعض الدول وفناء البعض الآخر، وثانيا : فناء جميع الأسلحة المتطورة وعلى رأسها الأسلحة النووية من كلا الطرفين . فالدمار القادم للحضارة الغربية برمتها، سيتحصّل لا محالة، وعلى ما يبدو، من جرّاء حرب عالمية نووية مدمرة، تستنفذ فيها كافة الأسلحة المتطورة من على وجه البسيطة، مع بقاء بعض الشعوب المنتصرة، بعد أن تكون ألقت ما فى جعبتها من أسلحة، على خصومها المنكسرة، وبذلك يغدو من الممكن قيام الخلافة الإسلامية، فى ظل غياب تلك القوى، ليحكم الكون بأسره، إذ لا بد للنصر من أسباب ومسببات مادية، فضلا عن العقائد الروحية .

أما الاحتمال الثانى فهو الأقوى، إذ أن المؤشرات على الساحة العالمية والمحلية، تؤكد على أن العراق، لن يستطيع الصمود حتى وقت متأخر جدا، فصبر القيادة العراقية بدأ ينفذ، والتحركات السياسية المتعددة للخلاص من الحصار، على المستوى الإقليمى والدولى باتت غير مجدية، ورغم كل ذلك، لا يبدو أن هناك ضوء فى آخر النفق، والضغوط والتهديدات الأمريكية فى تزايد مستمر، فلا بد لها من القيام بعمل ما لتحريك الأمور، أو قلبها رأسا على عقب . وكذلك الأمر بالنسبة للشعب الفلسطينى فى فلسطين، إذا ما استمر الحال، على ما هو عليه من الخذلان العربى والعالمى، فهو أقرب إلى الانهيار منه إلى الاستمرار، وستكون النتيجة مأساوية على المدى البعيد،

وعلى عكس ما يتوقعه الناس منهم، فللإنسان طاقة محدودة على الصبر، وسيبدأ الفلسطينيون مجدّدا بالانسياب إلى الخارج شيئا فشيئا .

معطيات الواقع الحالى تؤكد حتمية نفاذ هذا الوعد فى وقت قريب :

وسرّ قابلية نفاذ هذا الوعد فى الوقت الراهن، يكمن أولا : فى القيادة الحالية للعراق، التى إن زالت لن تتكرّر، فهى التى تملك إرادة الغزو، بعدما تولدت لديها نتيجة عملية مخاض عسيرة، تمثلت بما لحق بالعراق، من ظلم وإجحاف وإذلال فى السنوات الأخيرة، على عهد هذه القيادة، وهى المُطالبَة بإزالة هذا الظلم والهوان، والثأر ممن تسبّب فيه، وبعث أولئك العباد المشار إليهم فى النص القرآنى أساسا، وكما وضحّنا سابقا، قائم على علاقة ثأرية بينهم وبين اليهود، غايته الانتقام ليس إلا .

ويكمن ثانيا : فى القيادة الحالية لإسرائيل، بقيادة أكثر اليهود إجراما ووحشية، ودورها فى ازدياد حدّة ودموية الانتفاضة الجديدة، التى ساهمت وستساهم، فى استمرارية انغماس يهود إسرائيل فى شأنهم الداخلى، وإهمالهم وعدم التفاتهم لمن يتربّص بهم الدوائر من الخارج، مما يعطى فرصة أكبر لنجاح الغزو العراقى .

ويكمن ثالثا : فى حالة المجتمع الإسرائيلى الراهنة، وخاصة بعد اختياره لقيادة هى الأكثر دموية بين سابقاتها، وبأغلبية ساحقة مما يُشير إلى أن الشعب بكليته، أصبح أيضا شعبا دمويا فاسدا ومفسدا، وعندما تصبح الأمة بأسرها تملك هذه الصفة، وحسب السنن الإلهية، نجد أن هلاكها بات

وشيكا جدا . وإذا علمنا أن السفاح (شارون) يحمل على عاتقه، تنفيذ مجمل أحلام اليهود التوراتية، الواردة فى الفصول السابقة، قبل نهاية ولايته، وعلى رأسها هدم المسجد الأقصى، نستطيع القول بأن هلاك هذه الأمة، لن يتجاوز الأربع سنوات على أبعد الاحتمالات .

ويكمن رابعا : فى القيادة الحالية الأمريكية غير المتزنة، التى أعلنت عدائيتها غير المبررة للعراق، وقامت بضربه فور تسلمها للسلطة، دون سابق إنذار، بالرغم من سياساته التصالحية، وتجاوبه الكامل مع قرارات الشرعية الدولية، وانتهاجه لأسلوب الحوار مع مجلس الأمن ـ وكل ذلك لم ولن يُجدى نفعا، إذ أن المطلوب من العراق، هو عبادة إسرائيل التى يعبدون، وتقديم فروض الطاعة والولاء للسامريّون الجدد فى الغرب المتصهين ـ والتى أظهرت أيضا فى المقابل تغاضيا وصمتا، على ما تقترفه القيادة الإسرائيلية، بشكل غير مسبوق، مما أثار حفيظة حتى المنافقين من حلفاء أمريكا، فتعاقبت التنديدات والانتقادات لهذا التصرف الأهوج، من قبل المُهرّج الأمريكى بوش .

هذا، فضلا عما أثارته القيادة الأمريكية من استياء عالمى ودولى، لسياستها المعادية لدول الشرق الأقصى والأدنى من روسيا شمالا وحتى اليمن جنوبا، ومن الصين شرقا وحتى ليبيا غربا، ولحلفائها الغربيين من الدول غير المنحازة لسياساتها، وللبشرية جمعاء بعدم توقيعها على اتفاقية الحد من الانبعاث الحرارى، حتى انعكس ذلك، على مشاركة أمريكا، فى اللجان المنبثقة عن هيئة الأمم المتحدة، فأُسقطت من لجنتى حقوق الإنسان

ومكافحة المخدرات، خلال فترة قصيرة، مما يعكس السخط الدولى على أمريكا وسياساتها .

فضلا عن ذلك، يأتى مشروع الدرع المضاد للصواريخ المثير للجدل، والذى تروّج له أمريكا على أنه مشروع دفاعى بحت، تسعى لامتلاكه، متذرّعة بمخاوف غير منطقية، من هجوم نووى، ربما تقوم به إحدى الدول المارقة، كإيران وكوريا الشمالية، أو جماعات إرهابية، من الممكن أن تحصل يوما ما على السلاح النووى، لضمان تأييد حلفائها لهذا المشروع، الذين أبدوا حوله الكثير من التحفظات، لعدم قناعتهم بالمسوغات الأمريكية لهذا المشروع . والذى يُجابه أيضا بمعارضة شديدة من قبل روسيا والصين، كون هذا المشروع سيلغى قوة الردع النووية، لأى دولة تمتلك السلاح النووى . فالسلاح النووى فى الأصل هو قوة ردع كفيلة، بمنع أى دولة مارقة أو غير مارقة، من مجرد التفكير بضرب أمريكا نوويا، ليتبين لنا أن دوافع أمريكا المعلنة لامتلاك هذا الدرع، غير مبررة وغير منطقية .

أما دوافعها غير المعلنة لامتلاك هذا الدرع، فهى نابعة من المخاوف التوراتية والإنجيلية، فيما يتعلّق بالمواجهة المقبلة بين الشرق والغرب، والتى تناولناها فى فصل سابق، ومحركاتها الرئيسية هى العراق وروسيا والمهدى . وبامتلاك أمريكا لهذا الدرع، تتحول صواريخها النووية إلى أسلحة هجومية، قادرة على ضرب أى جماعة، أو دولة نوويا أو غير نووية من المذكورة آنفا، فى حالة قيامها بتهديد المصالح أو أمن أمريكا وحلفائها، دون أن تكترث بأى هجوم نووى مضاد، حتى من قبل روسيا والصين، وبذلك تستطيع أمريكا،

فرض إرادتها على أى دولة بالقوة إن لم تمتثل لسياساتها طواعية، ضاربة بهيئة الأمم ومجالسها وقراراتها ومواثيقها عُرض الحائط ولو بحثت عمن يسعى بحماس لترويج فكرة هذا الدرع، فى الإدارة الأمريكية ومجلسى الشيوخ والنواب، لوجدت أنهم فى معظمهم، من اليهود ومن المتصهينين النصارى من عبدة إسرائيل، المسكونين بالمخاوف التوراتية والإنجيلية . وأن الهدف المنشود من إقامة هذا الدرع، هو تمكين النبوءات التوراتية المستقبلية التى توافق أهوائهم وأمانيهم من التحقق، وتعطيل جميع النبوءات التى تخالفها، وبذلك تصبح قابلية نفاذ هذا الوعد، بالشكل الذى نتحدث عنه شبه معدومة بل مستحيلة، ففور شعور أمريكا بأى بوادر تحركات عراقى باتجاه إسرائيل، لن تتردد الإدارة الأمريكية التوراتية، فى أن تجعل أرض العراق صعيدا جرزا، دون خوف أو وجل، وليصبح اسم العراق نسيا منسيا . هذا إن لم تستبق الأمور كما هى العادة، بضرب العراق والخلاص من أمره، حتى قبل أن يُفكر بالتحرك، فور امتلاكها لهذا الدرع، بعد خمس سنوات من البدء فى تنفيذه، حسب تقديراتها، ليصبح أمر نفاذ هذا الوعد، بعد هذه المدة الزمنية ضربا من الخيال . فلا بد من تحقق هذا الوعد قبل مضى هذه المدة .

وقد يقول قائل أن أمريكا لا تخشى أحدا، ولو أرادت بالعراق السوء لفعلت، ونقول بأن هذا القول غير صحيح، فلتدمير القدرة العسكرية التقليدية وأسلحة الدمار الشامل العراقية، احتاجت أمريكا أولا : مبررا وهو غزو الكويت، وثانيا : لإجماع أممى لاستصدار قرار باستخدام القوة، وثالثا :

لمشاركة ٣٠ دولة لتنفيذ الهجوم، لتوزيع دمه على القبائل، ومن ثم فُتح المجال لإجراءاتها العدائية المستمرة اتجاه العراق . فلو كانت قادرة، فما الداعى لما قامت به من خطوات سبقت الضرب الفعلى للعراق ! ونقول بأن أمريكا، لن تجرؤ على ضرب العراق نوويا، بداعى الخوف على مصالحها أو أمنها، فى ظل امتلاك نفس السلاح، من قبل دول مناهضة لها ولسياساتها كروسيا والصين، لأنها بالمقابل، ستعطى لهما مبررا لضربها نوويا دون سابق إنذار، فى حال قيام أمريكا بتهديد مصالحهما وأمنهما . فالمخاوف الأمريكية من أسلحة الدمار الشامل تأتى من العراق، وكما نعلم فإن العراق كان على علاقة طيبة مع أمريكا، قبل حرب الخليج الثانية، ولم يُهدّد يوما لا أمن الولايات المتحدة ولا مصالحها، وحتى بعد احتلاله للكويت، لم يكن ذلك ليُغيّر من طبيعة تلك العلاقة، والذين هدّد العراق أمنهم قبل جرّه لغزو الكويت وما زال، وتستطيع صواريخه الكيماوية والبيولوجية أن تصلهم، هم يهود إسرائيل، وهو ما كان قد أيقظ المخاوف التوراتية لأسياد أمريكا من اليهود، فكان ما كان، ووقع ما لم يكن فى الحسبان .

الأجواء الآن مغايرة تماما، للأجواء التى قامت فى ظلها الدولة اليهودية :

منذ أكثر من مائتى سنة، قام اليهود بوضع مخطط طويل الأمد، جمعوا فيه، ما بين مطامع أرباب المال اليهود فى السيطرة الاقتصادية، وأحلام الحاخامات التوراتية فى فلسطين . وكان الهدف النهائى للعمل الجماعى اليهودى، وما زال، هو السيادة الكاملة على كوكب الأرض، من خلال حكم ملكى ديكتاتورى، يتخذ من القدس عاصمة له، لتحقيق مطلب الطرفين معا .

نظريا وبإغفال القدرة الإلهية، التى لا يؤمن اليهود بوجودها، فإن مخططهم الإفسادى قابل للتحقق على أرض الواقع . أما عمليا، وبإدخال القدرة الإلهية، يُصبح أمر تحقق مخططهم هذا، ضربا من الخيال .

وقد تمكن اليهود من خلال هذا المخطط، من تحقيق السيطرة الاقتصادية، على العالم الغربى، بامتلاك الصناعة المصرفية، وشراء الاستثمارات بكافة أشكالها، وأهمها الصناعات العسكرية والإعلامية . مما مكّنهم من السيطرة على مجمل سياسيات تلك الدول الداخلية والخارجية، ومن ثم تم تسخيرها، لخدمة أهداف المخطط اليهودى آنف الذكر .

ولو أمعنت النظر فى ظروف المنطقة، التى سبقت الحربين العالميتين الأولى والثانية، لوجدت أنها تتقاطع كليا مع المخططات اليهودية، بإقامة وطن قومى لهم فى فلسطين، فى ظل موقف السلطان عبد الحميد، الرافض حتى لإقامة اليهود فيها كأفراد، حتى استيئست رسل اليهود من الأمر . ولو أمعنت النظر فى نتائج الحربين، ستجد أنها خدمت المخطط اليهودى بشكل ملفت للنظر، حيث تمخضت الحرب الأولى عن انهيار الدولة العثمانية، ومن ثم إصدار وعد بلفور، ووضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى، ومن ثم فتح باب الهجرة اليهودية . ومن ثم قامت الحرب الثانية، فتمخّض عنها إنشاء الأمم المتحدة من خمس دول حليفة ومنتصرة، وفى تلك الأجواء تم استصدار قرار أممى بتقسيم فلسطين، من خلال دعم غربى أمريكى بريطانى فرنسى، وعدم معارضة شرقية روسية صينية، حيث كان لكل دولة، من تلك الدول والمأخوذة بنشوة الانتصار، أطماع لنيل جزء من الكعكة العالمية بعد الحرب،

وكان أحد المطالب الغربية، هو تقديم فلسطين لليهود على طبق من ذهب . وفى المقابل، ستجد أن نتائج هذه الحرب، كانت مأساوية على مجمل الدول، التى شاركت فيها، حتى المنتصرة منها، بما أنها تكبّلت بالديون اليهودية إلى ما لا نهاية، والمستفيد الوحيد دائما وأبدا، هم تجّار الحروب من سادات اليهود، أثرياء وحاخامات، ممن يحكمون العالم الغربى فى الخفاء .

- لنخلص إلى أن قيام إسرائيل واستمرارها، اعتمد على عدة أمور :

١- تمكين بريطانيا من السيطرة على فلسطين، لاستصدار وعد بلفور، الذى لم يكن كافيا لتحقيق الحلم اليهودى، بإقامة وطن قومى لهم فى فلسطين . ومن ثم وضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى، لتمكين بريطانيا من تنفيذ الوعد، بفتح أبواب الهجرة، وخلق واقع جديد، يسمح لليهود بإقامة الدولة .

٢- التضليل الإعلامى المستمر للرأى العالمى، بترويج مقولة " أرض بلا شعب، وشعب بلا أرض " . بالإضافة إلى التضخيم الإعلامى لمسألة الاضطهاد الأممى لليهود، وخاصة ترويج حكاية ضحايا المحرقة النازية الستة ملايين . لكسب تعاطف وتأييد الرأى العالمى الغربى . ومن ثم استغلال الحلفاء الخمسة المنتصرين، والمؤسسين للأمم المتحدة، لاستصدار قرار أممى بتقسيم فلسطين، تمخض عنه قيام دولة إسرائيل . بطلب وتأييد من الدول الغربية، وقبول من الدول الشرقية، حيث كانت حسبة المصالح للدول الخمسة الكبرى آنذاك، تسير فى مركب واحد، بينما كانت الدول

العربية بأسرها، مملوكة من قبل الغرب .

٢ - الرعاية الاقتصادية والسياسية والعسكرية الأمريكية والأوربية المستمرة لإسرائيل، فى حالتى السلم والحرب .

- والسؤال الآن هل الظروف، التى أوجدت دولة إسرائيل، وحافظت على بقائها واستمراريتها، ما زالت قائمة ؟

١ - فور خروج الجيش البريطانى، وفور الإعلان عن قيام الدولة اليهودية، استطاعت الجيوش العربية قهر الجيش الإسرائيلى، والوصول إلى مشارف تل أبيب، ولولا استجابة العرب للأوامر الأمريكية بوقف القتال، لما استطاع الغرب من إمداد إسرائيل بالعدة والعتاد، مما مكّنها لاحقا من الانتصار، ولما كان هناك ما يُسمى بدولة إسرائيل، ولكن قدّر الله وما شاء فعل .

٢- بعد الانفتاح الإعلامى، وعالمية وسائل الاتصال، وتعدّد مصادر المعلومات، أُتيح للرأى العالمى، وخاصة المناهض لأمريكا وسياساتها، رؤية الجانب الآخر من الصورة، الذى عملت وسائل الإعلام الغربية على التعتيم عليه، فيما مضى، فبات الكل يعلم، أن فلسطين لم تكن يوما من الأيام، أرضا بلا شعب، بل فيها شعب، لا مثيل له بين الشعوب، له إرادة تفل الحديد، ويستحق التقدير والاحترام . وبات الكل يعلم، أن الشعب الذى كان يتباكى من الاضطهاد النازى له، تبين أنه أكثر نازية ووحشية من النازيين أنفسهم، فتبدّل التعاطف معه إلى سخط عليه، واستياءٍ وخجلٍ عالمىّ من أفعاله، ولولا الفيتو الأمريكى والدعم البريطانى والفرنسى والتخاذُل العربى، المسلّط على

رقاب الفلسطينيين، والمحبِط حتى لأنصار القضية الفلسطينية، من الشعوب غير العربية، لما استمرت هذه الدولة النازية الجديدة فى الوجود .

٢ - لو تتبعنا كافة الحروب العربية الإسرائيلية، لوجدنا أن إسرائيل لم تكن قادرة، بأى حال من الأحوال، على مجابهة الجيوش العربية، بل لم تكن قادرة على حماية نفسها، لولا الدعم العسكرى الأمريكى البريطانى الفرنسى، المعلن والخفى بالسلاح والأفراد، من خلال الجسور الجوية التى كانت توصل هذا الدعم . فالمواجهة فى كل الحروب، لم تكن بين العرب وإسرائيل، وإنما كانت بين العرب والغرب . ولوجدنا أن مجمل نوايا القيادات العربية، كانت معروفة باليوم والساعة، وأن تحركات الجيوش العربية وإمداداتها، كانت معلنة ومكشوفة وبطيئة، وغير منسقة لتعدد القيادات، ولوجدنا أن عامل الوقت كان حاسما فى مجمل تلك الحروب، مما كان يُمكّن إسرائيل من الاستعداد، وطلب النصرة من الغرب .

كانت هذه قراءتنا للواقع . أما معطيات الواقع المنظور، كما يقرأها عامة الناس، والتى لا توحى باقتراب تحقّق وعد الآخرة، بإساءة وجوه الصهاينة، والدخول العراقى لفلسطين . سنحاول تصحيح هذه القراءة ما أمكن، من خلال رسم صورة، للدخول القادم من خلال صور ومشاهد، من القرآن والتاريخ والواقع، لتقريب صفة هذا الدخول لذهن القارئ، وذلك أولا : لتأكيد مصداقية ما جاء به كتاب الله، من أمر هذا الوعد قبل تحقّقه، وعلى النحو الذى أراده رب العزة، لا كما أرادته أهواء البشر، وثانيا : بيان مدى قابلية تحقّق هذا البعث، فى زمن قريب جدا، وضمن معطيات الواقع الحالى،

الذى قد يراه الناس مخالفا، لما نذهب إليه جملة وتفصيلا .

من صور الدخول فى القرآن :

نطرح فيما يلى بعضا من صور الدخول، مما ورد ذكره فى القرآن الكريم :

- (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ، فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا، وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا، وَقُولُوا حِطَّةٌ، نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ، وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨ البقرة)

كان هذا وصف لكيفية الدخول، التى أُمر بها بنو إسرائيل على قرية مدين شبه الخاوية، بعد هلاك أغلبية أهلها بالعذاب، وتركهم لأرضهم ومساكنهم وممتلكاتهم من الزروع والمواشى، وهذا ما يُشير إليه قوله تعالى (فكلوا منها حيث شئتم رغدا)، أى أن ما فيها من خيرات وأنعام، أصبح فى متناول أيديهم بمجرد الدخول، وهذه العبارة قيلت لآدم وزوجه عند أمرهم بدخول الجنة، وكان هذا من لطف الله بهم ومنّه وكرمه عليهم، ولذلك طُلب منهم عند دخول باب القرية، التعبير بالقول والهيئة، عن شكرهم وطاعتهم لله على هذه النعمة، التى كانوا قد طلبوها سابقا، وتحصّلوا عليها دون جهد أو عناء، إذ لم يُجابهوا بأية ممانعة أو مقاومة، بل على العكس، قوبلوا بالترحيب، من قبل شعيب والقلة المؤمنة ممن بقى من قومه، لمصاهرة موسى عليه السلام لهم، وإقامته عندهم فيما مضى، والله أعلم .

- (قَالَ رَجُلَانِ، مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ، أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا، ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ،

فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ (٢٣ المائدة)

كان هذا وصف لكيفية الدخول، الذى أُمر به بنو إسرائيل، لدخول الأرض المقدّسة المأهولة بالسكان، فى محاولة من رجلين مؤمنين عالمين بواقع الحال، لتشجيعهم وطمأنتهم، لعلهم يرجعون عن موقفهم الرافض، لدخولها وطرد سكانها الوثنيون، والاستيطان فيها بدلا منهم، حيث يؤكد لهما الرجلان، بأنهم لن يتعرضوا للأذى عند الدخول، وفى حال كانت هناك مواجهة، فلن يُكلّفهم ذلك سوى كسر الباب، بقتل الحراس المتواجدين عليه ومباغتة أهلها فى الداخل . وعلى ما يبدو أن موسى عليه السلام، قبل أن يأمر بنى إسرائيل بالدخول، كان قد بعث هذين الرجلين، للتجسس على أهل المدينة المقدّسة، فوجدا أن أهلها على غير استعداد للحرب، وأنهم لا يملكون جيشا، ولم يكونوا جبارين حقيقة، كما ادعى بنوا إسرائيل لاحقا، وأنهم لا يملكون سوى بضعة حرّاس، على باب المدينة فقط . وعندما أمر موسى قومه بالدخول، رفضوا مُتذرعين بجبروت أهلها تقاعسا وخذلانا وجبنا، فعقّب هذين الرجلين على قول موسى، بقولهم ذلك تفنيدا لادّعائهم، وتوضيحا لحقيقة الأمر، كما رأوها بأُمّ أعينهم، ومع ذلك أصرّ بنو إسرائيل على موقفهم، بقلة إيمانهم وفسقهم وجبنهم . ودخول كهذا يحتاج للمباغتة كعنصر أساسى، لمنع الخصم من الاستعداد والجاهزية للقتال، مما يُقلّل أو يمنع الخسائر فى المواجهات المكشوفة، ويدفع الخصم إلى الاستسلام والرضوخ للأمر الواقع، ومن ثم الرحيل عن الأرض .

– (قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ، إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا، وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً،

وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤ النمل)

وكان هذا وصفا لكيفية دخول الملوك، على القرى المتمرّدة والمتطاولة، على أمرهم ومكانتهم، على لسان ملكة سبأ، تحذيرا لقومها من عصيان أمر الملك سليمان عليه السلام، وهذا الدخول هو الأسوأ على الإطلاق . وانظر فى قول سليمان عليه السلام، عندما تمرّدوا على أمره، ولم يأتوه مسلمين كما طلب، حيث قال (ارْجِعْ إِلَيْهِمْ، فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لاَ قِبَلَ لَهُمْ بِهَا، وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (٣٧ النمل)، فعصيان أمر الملوك، ذوى القوة والعزة والأنفة والتطاول عليهم، بأى شكل من الأشكال، يُحمل على أنه تحقير وتقليل من شأنهم ، ويُعتبر إهانة لا يستطيعون غفرانها . والرد عليها عادة ما يكون، كما هو ظاهر فى رد سليمان عليهم، بإرسال جيش لا قبل للخصم به، لا من حيث العدد ولا من حيث العدة، ونتيجة فعلهم، هى كما وصفته ملكة سبأ فى الآية الأولى، وما أكدّ عليه سليمان فى الآية الثانية أعلاه .

وغاية هذا الدخول فى العادة، تكون للانتقام ورد الاعتبار، باستباحة الأرض والمال والعرض، بتخريب الممتلكات والقتل والتنكيل فى العامة، وأسر علية القوم وإذلالهم، ومن ثم قتلهم والتنكيل بهم، وسبى نسائهم وأطفالهم، وتسخيرهم للعمل كجوارى وخدام فى القصور إمعانا فى إذلالهم . ودخول كهذا، عادة ما تُعلن فيه الرغبة فى الانتقام، ويتم فيه تهديد الخصم مسبقا، لإذلاله وإدخال الرعب فى قلبه، مما يكون أدعى لانهياره، وسرعة تداعيه عند المواجهة، فى حال تجرّأ على ذلك .

- (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ، لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ، مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ، وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ، فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا، فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (٢٧ الفتح)

هذه هى المرة الأخرى، والوحيدة فى القرآن، التى يرتبط فيها ذكر الدخول بالمسجد، وهو دخول المسجد الحرام فى مكة، ولو أمعنت النظر فى نص الآية، ستجد أنها تصف المسلمين أثناء تأدية العمرة، وقد جاء فى كتب التفسير، أن هذه الرؤيا قد تحققت، فيما سُمّى لاحقا بعمرة القضاء، فى العام التالى لصلح الحديبية، فأنزلت هذه الآية تصديقا للرؤيا ووعدا بالفتح . وأما الدخول العسكرى لمكة والمسجد الحرام، فسُمّى فى القرآن فتحا وليس دخولا . والمعروف أن المسلمين عندما خرجوا لغزو مكة، كانوا قد أعدوا عدة الحرب . وقد روى الإمام مسلم عن جابر : " أن رسول الله دخل مكة، وعليه عمامة سوداء، من غير إحرام "، وقال ابن كثير فى تفسيره للآية (٢٤) من نفس السورة، والتى سيرد نصها فى الحديث عن فتح مكة، أن الرسول عليه الصلاة والسلام : " لم يسق عام الفتح هديا، وإنما جاء محاربا مقاتلا فى جيش عرمرم " .

المقصود بدخول المسجد :

الدخول القادم للمسجد الأقصى، لن يكون لتخريبه كما وقع فى المرة الأولى، ولن يكون بقصد الزيارة فقط، لأداء عبادة من العبادات، كما هو الحال عند دخول المسجد الحرام، الموصوف فى الآية أعلاه . فالمقصود

بقوله تعالى (وليدخلوا المسجد) هو الدخول إلى الأرض المباركة، التى تحوى هذا المسجد، أى فلسطين ككل والسيطرة عليها . وذِكر المسجد، الذى هو بمثابة القلب من الجسد، بالنسبة للأرض المباركة والمقدّسة، جاء للإشارة وللتأكيد على أن نفاذ الوعد بشكل كامل، سيتحصل أخيرا بدخول القدس، بعد إزالة العلو اليهودى من فلسطين، وإنهاء الوجود اليهودى فيها، الذى يفيده تقدّم ذكر الإساءة عن ذِكر الدخول .

ولو تمعنّت فى قوله تعالى (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ، لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ، وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ (٧)، ستجد أن الغاية من البعث فى الأصل، هى إساءة وجوه اليهود، وستتحصّل هذه الإساءة، من جرّاء ما وقع فيهم، من قتل وتنكيل وسبى وفرار . ومن ثم جاء ذكر المسجد، ليكون دخول القدس واستعادتها، نتيجة تأتّى من جرّاء ما وقع فى اليهود من إساءة . والأنكى والأكثر إيلاما لليهود، هو أن تُتّخذ القدس عاصمة لدولة عربية كبرى، لتصبح أحلام يهود الشرق والغرب المتعلقة بها هباءً منثورا، بعد أن كانت قاب قوسين أو أدنى من التحقق . وبالتالى يكون مجىء لفظ الدخول فى هذه الحالة، تأكيدا لتحرير فلسطين واستعادة المسجد والاستيلاء عليه من قبل المبعوثين، وأن البعث لم يقتصر على إساءة الوجوه فقط . والتشبيه هنا كان لصفة الدخول، منذ اجتيازهم لحدود الأرض المقدّسة، بما تخلله من قتل وتنكيل وأسر وإذلال، حتى وصولهم إلى قلب مدينة القدس، ليتأكد لنا زوال علوهم منها بشكل كامل قهرا وقسرا، بالضبط كما حصل فى المرة الأولى، عند دخول البابليين بقيادة نبوخذ نصّر .

وعلى ما يبدو أن الدخول القادم، سيجمع بين صفتى الدخول الثانى والثالث، المشار إليهما أعلاه، لأن غاية الدخول القادم، تجمع ما بين غايتيهما، وهما أولا : طرد اليهود وإعادة الأرض لأصحابها الأصليين، وثانيا : إشباع الرغبة العراقية فى الانتقام من اليهود وإذلالهم .

ـ ومن جانب آخر، نجد أن قوله تعالى (ليسوءوا ... وليدخلوا ... كما دخلوه ...) يصف ما سيجرى على أرض فلسطين لحظة الوصول إليها، وحتى استعادة كامل أرضها . والذى سيجرى حقيقة على أرض الواقع، حسب الوصف القرآنى، ليس بمعركة، وإنما غزو من قبل أمة لا تعرف الرحمة، لأمة ضعيفة وجبانة مستباحة الأرض والمال والعرض . ولو أنك فكّرت بهذا الحدث نظريا،كما جاء به النص القرآنى، وحاولت مطابقته مع معطيات الواقع الحالى، ستجد بأن عملية تحققه ضرب من الخيال، ضمن الظروف الراهنة، التى تؤكد رجحان كفة موازين القوى العالمية، لصالح اليهود وحلفائهم الغربيين .

صور من الواقع :

ـ حال إسرائيل فى المنطقة، كحال ثرى يملك منزلا، فى منطقة معزولة عن المدينة، يحتوى على كمٍّ هائلٍ من الكنوز والمقتنيات الثمينة، ويقتنى عتاد جيش كامل من الأسلحة، منٍ مسدسات وأسلحة رشاشة وقنابل يدوية وصواريخ، لحماية هذه الممتلكات من هجمات اللصوص .

فلو أن مجموعة كبيرة من اللصوص، لا تملك سوى السلاح الأبيض،

فكّرت بالسطو على مثل هذا المنزل،، فهل ستنجح ؟!

للإجابة فكّر مليا بالحالات التالية :

- إذا وقع السطو، وشعر صاحب المنزل باللصوص، وهم خارج الأسوار، سيكون بمقدوره الاتصال برجال الأمن، ومشاغلتهم بما لديه من الأسلحة متنوعة وفتاكة، حتى يتمكن من الحصول على المساعدة، هذا إن لم يكن قد فرق شملهم، وأبادهم عن بكرة أبيهم، قبل وصول المساعدة، وستكون إمكانية صدهم فى هذه الحالة كبيرة جدا .

- إذا وقع السطو، ولم يشعر صاحب المنزل باللصوص، إلا بعد دخولهم إلى المنزل والانتشار فى أرجاءه، فهو خاسر لا محالة، ولكن أمامه عدة خيارات، أولا : الاتصال بالمساعدة التى لن تصل فى الوقت المناسب، وسيكون ضررها أكثر من نفعها، فى حال أحس اللصوص بذلك، فقد يُصبح قتله أمرا محتما، وكذلك الحال فيما لو حوصر اللصوص، من قبل رجال الأمن، داخل المنزل المُتخم بالأسلحة، ثانيا : المواجهة المسلحة، فيما لو لم يتمكن من الاتصال، والنتيجة مع كثرتهم، محسومة لصالحهم، بقتله ونهب محتويات المنزل، وثالثا : الفرار أو الاختفاء، والتسليم بالأمر الواقع، لتنهب محتويات المنزل .

- إذا وقع السطو، ولم يشعر صاحب المنزل باللصوص، إلا وسكين أحدهم تضغط على حنجرته، منبهين إياه من النوم . هنا ستكون النتيجة محسومة، فنهب المنزل أصبح تحصيل حاصل، وأما أمر نجاته من عدمها، فمرهون

بأيدى اللصوص .

ولغزو إسرائيل، يتطلب الأمر تجنّب الحالة الأولى، وهى ما جرت عليه العادة، فى كافة الحروب العربية الإسرائيلية، والعمل على ما أمكن على تحقيق الحالة الثالثة، أو الحالة الثانية على الأقل، بهجوم كبير وشامل ومباغت وسريع، تكفله وحدة القيادة من خلال العمل المنسقّ والمحافظة على السرية التامة، مما يحرم إسرائيل من الاستعداد، ويلغى جميع قدراتها الدفاعية والهجومية، ويحرمها حتى من القدرة على طلب المساعدة كذلك .
ولنخلص إلى القول بأن نجاح هذه المهمة، يتطلّب عدة عوامل :

أولا : إعداد جيش كبير العدد، يفوق تعداد الجيش الإسرائيلى أضعافا مضاعفة، يتم تدريبه على كافة الأساليب القتالية الحديثة، ويكون لإفراده القدرة على تحمل الجهد والجوع والعطش، والقدرة على البقاء والاستمرارية فى أقسى الظروف، تملؤهم رغبة جامحة بالانتقام، ويُسيّرهم حقد جارف .

ثانيا : المحافظة على السرية التامة، منذ لحظة الانطلاق حتى الوصول، لتوفير عنصر المباغتة .

ثالثا : سرعة الوصول، باستخدام كافة الوسائل والتقنيات العصرية المتاحة .

رابعا : شمولية الهجوم، من خلال تعدد الجبهات .

خامسا : سرعة الانتشار .

ـ ولو نظرنا إلى واقع إسرائيل، ستجد أنها أشبه بالطفل الخداج، الذى يعيش فى بيئة مصطنعة، ويحتاج فيها إلى من يُقدّم له الحماية والرعاية والعناية المستمرة والحثيثة، والإمداد بالغذاء والهواء فى الظروف الطبيعية، وإلى العلاج المكثف فى الأزمات الصحية بسبب نقص المناعة، وعدم القدرة على المقاومة .

ومشكلة إسرائيل، أن حاضنتها تقع فى بيئة معادية، وهى عرضة لأن يُفتك بها، فى أى لحظة، وأن أمريكا القائمة على رعايتها والعناية بها، تبعد عنها آلاف الأميال . وتحتاج إلى وقت ليس بالقصير، لتقديم العون لها، كلما ألمّ بها عارض مفاجئ، وغالبا ما كانت أمريكا تلجأ إلى الحيلة والمماطلة، فى كل مرّة لكسب الوقت، كى تؤمن لها العلاج المناسب، وتنقذها من الهلاك .

وللتخلص من هذا المسخ، يتطلب الأمر، المباغتة بالهجوم وسرعة الإنجاز وعدم التأخير، أثناء عملية القتل، والاستمرارية حتى مفارقة الروح الجسد، لحرمان القائمة على الرعاية، من كسب الوقت، الذى تحتاجه لتعطيل عملية قتل المسخ، ومن ثم لتقوم بإنعاشه، كما جرت العادة فى كافة الحروب العربية الإسرائيلية . ولنخلص إلى القول بأن نجاح هذه المهمة، يعتمد على ثلاثة عوامل :

أولا : المباغتة بالهجوم .

وثانيا : سرعة الإنجاز .

وثالثا : الاستمرارية حتى مفارقة الروح الجسد، إذ ليس بإمكان أمريكا أن تحيى الموتى، ولو فكّرت بذلك فلن تجد من يُؤيّدها .

صور من التاريخ الإسلامى :

فى السنة السادسة للهجرة، كان الرسول عليه الصلاة السلام، وألف وأربعمائة رجل من المسلمين، قد أحرموا بالعمرة متوجهين إلى مكة، فعلم مشركى قريش بذلك، فخرجوا بخيلهم، لصدّهم عن دخول المسجد الحرام . فسلك عليه الصلاة والسلام طريقا، غير التى كان عليها، حتى وصل إلى الحديبية، بركت الناقة على غير عادتها، فعلم عليه الصلاة والسلام، أنها لن تعدو مكانها، وبأن العمرة لم تُكتب لهم ذلك العام، فأقام ومن معه فيها . فكان فيها الصلح الذى كان من بنوده، حرمان المسلمين من أداء العمرة فى ذلك العام، على أن يعودوا لأدائها فى العام المقبل، فشُقّ ذلك على المسلمين، ومنهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه، الذى أراد قتالهم والدخول قسرا، ولم تهدأ سَوْرة غضبه، إلا بعض أن أُنزلت آيات سورة الفتح، مُبيّنة الحكمة الإلهية، التى غفل عنها بعض من أيّد قتال أهل مكة، من الصحابة رضوان الله عليهم .

قال تعالى (وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ، وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ، مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٢٤) هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَالْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ، وَلَوْلاَ رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ، لَمْ تَعْلَمُوهُمْ، أَنْ تَطَئُوهُمْ، فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ

عِلْم، لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ، لَوْ تَزَيَّلُوا، لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٢٥ الفتح)، فبالرغم من توافر الرغبة الإلهية فى تعذيب الكفار، وتوافر التأييد الإلهى للمسلمين فى مواجهاتهم للمشركين، وأسر المسلمين لمن خرج لصدّهم عن المسجد من مشركى قريش، مُنع المسلمين من الدخول لمكة قسرا، لئلا يُلحقوا الأذى بالمؤمنين، غير المعلومين من أهل مكة، وأنه لو كان هؤلاء ظاهرين ومعلومين، لسُمح للمسلمين بقتال المشركين، ودخول مكة قسرا .

قلنا فى فصل سابق أن صفة دخول المسجد الأقصى، فى المرة الثانية مشابهة لصفة دخوله فى المرة الأولى، والدخول الأول كما علمنا، كان من قبل البابليين . ولكن ما نود أن نؤكد عليه هنا، أن ظروف الدخول الأول مختلفة، عن ظروف الدخول الثانى، فالدخول الأول، وقع على كفرة اليهود وفسقتهم، بعد أن قاموا بإخراج المؤمنين المستضعفين من ديارهم، وإبعادهم إلى خارج حدود المملكة . وما نراه أمامنا على أرض الواقع فى فلسطين ككل، هو تداخل المدن الفلسطينية بالمدن اليهودية والمستوطنات، واختلاط السكان من عرب ويهود، فى بعض المدن وخاصة فى مدينة القدس . وهذا الواقع مشابه إلى حد ما، ظروف مكة قبل الفتح، حيث اختلاط المؤمنين سرّا بالكفار . وهذا مما ينفى، والله أعلم، استخدام القوة بشكل مفرط، أثناء الدخول العراقى لفلسطين، ومما ينفى وقوع مواجهة شاملة، فى حرب معلنة ومكشوفة، ولنتعرف على الفكر العسكرى، لرسول الله عليه الصلاة والسلام، فى كيفية التعامل مع هذا الواقع، وكيفية التدبير الإلهى فى تنفيذ وعده،

سنعرض بعض الملامح من فتح مكة .

لما كان صلح الحديبية، دخل بنو بكر فى عقد قريش، ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله عليه الصلاة والسلام، وكانت الهدنة . فاغتنمها جماعة من بنى بكر، في السنة الثامنة للهجرة، فأصابوا من خزاعة ثأرا قديما لهم، وكانت قريش قد رفدت بنى بكر بالسلاح والرجال . فخرج نفر من خزاعة، حتى قدموا على رسول الله عليه الصلاة والسلام، فأخبروه بما أصيب منهم، ومظاهرة قريش لبني بكر عليهم، فوعدوا بالنصر، ثم انصرفوا راجعين . فخرج أبو سفيان حتى قدم المدينة، ليطلب الشفاعة، ويشدّ فى العقد، ويزيد فى المدة، فرجع خائبا .

فى تلك الأثناء، أُمر المسلمون بالجهاد، وأُخفيت جهة الخروج عن الناس فى بادئ الأمر، كما أُخفى موعد الخروج، ثم إن رسول الله أخبر الناس، قبيل خروجه بفترة قصيرة، أنه سائر إلى مكة، وأمرهم بالجدّ والتهيؤ، وقال : " اللهم خُذ العيون والأخبار عن قريش، حتى نبغتها فى بلادها " . وكلنا يعلم قصة حاطب بن أبى بلتعه، عندما حاول إعلام قريش بما كان من أمر المسلمين، فكشف الله أمره عن طريق الوحى . وشاء الله، فعُمّيت الأخبار عن قريش، ونزل جيش الفتح بالقرب من مكة .

كان العباس عم الرسول عليه الصلاة والسلام، قد أعلن إسلامه عند مقدم جيش المسلمين لغزو مكة، ومما قاله حين نزل رسول الله مرّ الظهران " واصباح قريش، والله لئن دخل رسول الله مكة عنوة، قبل أن يأتوه

فيستأمنوه، إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر " . فخرج العباس رضى الله عنه، ليبحث عن رجل من قريش، ليطلب لها الأمان، من رسول الله عليه الصلاة والسلام، خوفا من أن يُهلكها جيش المسلمين، القادم للانتقام منها لنقض العهد، فوجد صاحبه أبى سفيان، فاستجلبه ليطلب الأمان . ولولا ما أُعطى أبو سفيان، من الأمان لأهل مكة، وإطلاق سراحه صباحا، ليُخبرهم قبل دخول جيش المسلمين، لهلكت قريش .

كانت قريش – بعد أن نقضت العهد – تتوقع خروج الرسول عليه الصلاة والسلام عليها، ولكنّ معرفتها لوقت خروجه على وجه الدقة، لم تكن متحصّلة، لذلك لم تقم بالاستعداد للمواجهة، وكانت تعتمد على خبر يأتيها من عمليات التجسس، التى دأبت على القيام بها، منذ نقضها للعهد، للبدء فى الاستعداد . ولكن ذلك الخبر لم يأت، بمشيئة الله، حتى كان صباح يوم الفتح، على لسان أبى سفيان، الذى كان قد أسلم، داعيا أهل مكة إلى الاستسلام، لا داعيا إياهم إلى النفير .

مقومات وظروف فتح مكة :

كان مُحرّك الخروج على قريش، هو الرغبة فى الانتقام منها لنقضها العهد، والثأر لبنى خزاعة، بالإضافة لدوافع أخرى، أما رسول الله عليه السلام، فكان أرحم بأهل قريش من أنفسهم .

١ – توافر الوعد الإلهى لرسوله وللمؤمنين بالفتح .

٢ - إحاطة عملية الخروج بالسرية التامة، لتوفير عنصر المباغتة، مما حرم قريش من الاستعداد للمواجهة، سواء بإعداد العدد والعدة، أو بالاستعانة بما حولها من القبائل، ممن كانوا على عداء مع المسلمين . مع العلم بأن المسافة ما بين المدينة ومكة، تزيد على ٤٠٠ كم، وأن وسائل الانتقال كانت بدائية وبطيئة جدا، ومع ذلك تمكّن المسلمون، من الوصول ومباغتة أهل مكة، من خلال الأخذ بالأسباب، ومن ثم الاعتماد على التأييد الإلهى .

٣ - تأمين الكثرة، لدب الرعب فى قلوب المشركين، وإجبارهم على الاستسلام لانعدام القدرة على المواجهة، ولسحق أى مقاومة محتملة، مهما كان حجمها، حيث بلغ تعداد الجيش قرابة عشرة آلاف رجل، وهو نفس العدد الذى استطاعت قريش، وحلفائها من القبائل، جمعه فى غزوة الخندق، وهو ما حُرمت قريش من فعله عند فتح مكة .

٤ - علم المسلمين التام، بجغرافية مكة ومحيطها، مما أفاد المسلمين قبل وأثناء الدخول .

٥ - والأهم من كل ما تقدّم، هو التأييد والتمكين والتدبير الإلهى، من البداية إلى النهاية، لإنجاز ذلك الوعد .

ـ والآن لو طرحنا التساؤل التالى، أليس من الممكن أن تتوفر ذات المقومات للعراقيين، ليُنجز الله وعده لبنى إسرائيل ؟!

١ - توافر نفس المُحرّك للخروج، وتوافر دوافع ومبررات أخرى طرحناها أعلاه .

٢ - توافر الوعد الإلهى بعقاب بنى إسرائيل على أيدى العراقيين، حتى لو لم يُذكروا بالاسم فى النص القرآنى .

٣ - توافر وحدة القيادة، وقدرتها فى هذه الحالة، على إخفاء أمر الخروج، من حيث توقيته وكيفيّته، مما يضمن عنصر المباغتة .

٤ - القرب المكانى، وتوافر آليات النقل الحديثة، مما يضمن سرعة الوصول .

٥ - توافر الكثرة والاستعداد والتدريب المكثف، فهذا هو ما يُشاهده القاصى والدانى، على شاشة التلفزيون العراقى مؤخرا . ولا يأخذ هذا الأمر على محمل الجدّ، إلا يهود أمريكا وإسرائيل من المؤمنين بالنبوءات التوراتية، لدرجة أن (شارون) سافر مؤخرا لأمريكا فقط، لبحث أمر جيش الأقصى الذى يُعدّه الرئيس العراقى، حيث وعدَه الأمريكان بالتكفل بأمره، وطلبوا منه الاهتمام بالشأن الداخلى، والعمل على تهدئة الأمور ظاهريا . ومربط الفرس، أن العالم لا يُعير أدنى اهتمام للاستعدادات العراقية الجارية حاليا على قدم وساق، وحتى أمريكا نفسها على ما يبدو تقلل من شأن هذا الجيش، ولا تتوقع أن يقوم العراق بغزو إسرائيل برا .

٦ - توافر التجربة والخبرة الميدانية للقيادات العسكرية العراقية،

بمشاركتها فى كافة الحروب العربية الإسرائيلية، والحرب الإيرانية، ودخولها المفاجئ للكويت .

٧ – توافر التأييد والتمكين الإلهى، بتذليل السبل أمام العراقيين، والتى من شأنها تحقيق هذا الوعد، بالكيفية التى جاءت بها النصوص القرآنية .

صفة جيش البعث فى التوراة :

ـ سفر يوئيل: " ١: ١: هذا ما أوحى به الرب إلى يوئيل بن فثوئيل : اسمعوا هذا أيّها الشيوخ، وأصغوا يا جميع أهل الأرض، ...

١: ١٥: يا له من يوم رهيب، لأن يوم الرب قريب، حاملا معه الدمار من عند القدير، ... اصحوا أيها السكارى، وابكوا يا جميع مدمنى الخمر ... فإن أمةً قوية قد زحفت على أرضى، أُمة قوية لا تُحصى لكثرتها، لها أسنان ليث وأنياب لبؤة، ...

٢: ٢: هو يوم ظلمة وتجهّم، يوم غيوم مُكفهرّة وقتام دامس، فيه تزحف أمة قوية وعظيمة، كما يزحف الظلام على الجبال، أمّة لم يكن لها شبيه فى سالف الزمان، تلتهم النار ما أمامها، ويُحرق اللهيب ما خلفها، الأرض أمامها جنة عدن، وخلفها صحراء موحشة، يثبون على رؤوس الجبال، فى جلبة كجلبة المركبات، كفرقعة لهيب نار يلتهم القشّ، وكجيش عات مُصطفّ للقتال . تنتاب الرعدة منهم كل الشعوب، وتشحب كل الوجوه، يندفعون كالجبابرة وكرجال الحرب، ...، ينسلّون بين الأسلحة من غير أن يتوقفوا، ينقضّون على

المدينة، ويتواثبون فوق الأسوار، يتسلّقون البيوت، ويتسلّلون من الكوى كاللصوص، ترتعد الأرض أمامهم وترجف السماء، ....، يجهر الرب بصوته فى مُقدّمة جيشه، لأن جُنده لا يُحصى لهم عدد، ومن يُنفّذ أمره يكون مُقتدرا، لأن يوم الرب عظيم ومخيف، فمن يحتمله ؟! " .

- سفر حبقوق : " ١ : ٣: أينما تلفّت أشهد أمامى جورا واغتصابا، ويثور حولى خصام ونزاع، لذلك بطلت الشريعة (تعطلّت) وباد العدل، لأن الأشرار يُحاصرون الصدّيق، فيصدر الحكم مُنحرفا عن الحقّ .

" ١ : ٥: تأمّلوا الأمم وأبصروا، تعجّبوا وتحيّروا، لأنى مُقبل على إنجاز أعمال، فى عهدكم، إذا أُخبرتم بها لا تصدّقونها . فها أنا أُثير الكلدانيين، هذه الأمة الحانقة المُندفعة، الزاحفة فى رحاب الأرض، لتستولى على مساكن ليست لها، أمّة مُخيفة مُرعبة، تستمدّ حُكمها وعظمتها من ذاتها . خيولها أسرع من النمور، وأكثر ضراوة من ذئاب المساء، فرسانها يندفعون بكبرياء، قادمين من أماكن بعيدة، مُتسابقين كالنسر المُسرع، للانقضاض على فريسته، يُقبلون جميعهم ليعيثوا فسادا، ويطغى الرعب منهم على قلوب الناس قبل وصولهم، فيجمعون أسرى كالرمل . يهزءون بالملوك ويعبثون بالحكام، ويسخرون من الحصون، يجعلون حولها تلالا من التراب، ويستولون عليها . ثم يجتاحون كالريح ويرحلون، فقوة هؤلاء الرجال هى إلههم " .

" ٢: ٣ لأن الرؤيا لا تتحقّق إلا فى ميعادها، وتسرع إلى نهايتها، إنها لا تكذب، وإن توانت فانتظرها، لأنها لا بدّ أن تتحقّق، ولن تتأخر طويلا " .

اليهودى وصفة الجبن الملازمة له عبر العصور :

كلنا يعلم أن وجود إسرائيل وبقائها، لا يعتمد فى الدرجة الأولى على مقوّماتها الذاتية، مهما بلغت قوتها العسكرية من عدة وعتاد، فحصنهم المنيع هو أمريكا بقوتها وعظمتها، والحصن الآخر هو الطوق الأمنى من معاهدات السلام والأحلاف العسكرية، التى سعوا جاهدين للتوقيع عليها مع دول الجوار . وهذين الحصنين هما ما يتكل عليه اليهود، كضمانة لاستمرار وجودهم، وشعورهم نسبيا بالأمان، الذى يُمكّنهم من البدء، فى تنفيذ مشاريعهم التوراتية على أرض فلسطين .

أما اليهود فى الحقيقة، فليس لديهم عقيدة أو مبدأ، ليبذلوا أرواحهم فى سبيل الدفاع عنها، كما هى الحال عند غيرهم من شعوب الأرض . لذلك تجدهم أشدّ الناس حرصا على الحياة، فلا يُقاتلون إلا مجبرين، وفى قرى محصنة أو من وراء جدر، فعادة الخروج للقتال ليست من شأنهم، أما الخروج للقتل وسفك دماء غير المقاتلين، فهذا أكثر ما يستطيعون القيام به، وعلى تخوّف من إصابتهم، من قبل خصمهم الأعزل، وهذا ما نشاهده على أرض الواقع هذه الأيام .

أما فى حال المواجهة المعلنة المكشوفة، فأول ما يُفكّر به الجندى الإسرائيلى المدجّج بالسلاح، هو البحث عن ملجأ يتحصّن خلفه، هذا إن تجرأ على القتال . وإن لم يجرؤ، فأول ما يُفكّر به، هو أن يولى الأدبار مطلقا لساقيه العنان، هاربا إلى حيث لا يدرى . فكيف إذا لم يكن هناك مواجهة،

بل غزو مفاجئ، أتخيّل هذا الجندى وفور سماعه، بأمر خروج أحفاد نبوخذ نصر، من بابل وقبل اجتيازهم للحدود العراقية، باتجاه إسرائيل، وقد تسمّر فى مكانه، وتجمّد الدم فى عروقه، وشلّت أطرافه، فلم يقو على حمل سلاحه . وخلاصة القول أن دولتهم محكوم عليها بالفناء، منذ لحظة قيامها، وهم يعلمون ذلك علم اليقين، وأن الجندى الإسرائيلى، مهزوم بالرعب من قبل أن تبدأ المعركة .

الكيفية المتوقعة لهذا الدخول :

على ما يبدو، وبعد هذه القراءة المطوّلة، أنه لن تكون هناك معركة معلنة ومكشوفة وطويلة الأمد، تستخدم فيها الآليات الحربية، من مدافع ودبابات وصواريخ وطائرات . وإنما غزو سريع ومباغت، لجيش عرمرم، بعدد هائل من الجند، مُدرّبين على سرعة الانتقال والانتشار، ومزودين بأسلحة خفيفة، هم أشبه - كما تصورهم التوراة - باللصوص فى خفة حركتهم وانسيابهم وتسلّلهم، وبالنسور بسرعة انقضاضها، وبالأسود فى قوتها وجبروتها وبطشها . وقد لا يخلو الأمر، من مواجهات ولكنها ستكون محدودة وقصيرة، ربما لا تتعدى كسر الباب، بمعنى أن العقبة الوحيدة التى ربما تواجه المهاجمين، لا تعدو عن كونها، مقاومة بسيطة على الحدود .

وكون هذا الهجوم مباغتا، يُفهم من تحذير الإنجيل لليهود، بأن من سمع بمحاصرة أورشليم بالجيوش، إذا كان فى الحقل، فلا يرجع إلى المدينة، وإذا كان على سقف المنزل، فلا ينزل إلى أسفل، ليجلب متاعا أو ما شابه، أى أن

هناك من سيسمع بهذا الغزو بعد خروجه إلى الحقل، وأن هناك من سيسمع بالغزو، بعد صعوده إلى سطح منزله، والخروج من المدينة إلى الحقل والعودة، ربما لا يتجاوز سويعات معدودة، وأما الصعود إلى سطح المنزل والنزول عنه، فربما لا يتجاوز دقائق معدودة . فالفارق الزمنى قصير جدا، ما بين الحالتين، فالذى خرج إلى الحقل، لم يكن يعلم بالغزو قبل خروجه، والذى صعد إلى سطح المنزل، لم يكن قد سمع بالغزو قبل صعوده

ومن المحتمل أن يكون هذا الغزو ليلا، ومن المحتمل أن يبدأ الهجوم ليل الجمعة، لينتهى يوم السبت قبل الظهيرة، استغلالا لانقطاع أغلب اليهود عن العمل، بحجة التزامهم بشريعة حرمة السبت، التى ما ألزم الله بها، إلا أصحاب تلك القرية، والله أعلم . وسينجم عن هذا الغزو، تفريغ كامل لليهود من فلسطين، سواء بالقتل أو الفرار، وسيطرة كاملة، على مساحة فلسطين كلها، وبالتالى فرض واقع جديد، يُعيد الأمور إلى نقطة الصفر، أى ما قبل قيام إسرائيل بخمسين عاما، أيام خلو فلسطين من اليهود، والله أعلم . .

ردود الفعل العالمية المتوقعة :

هذا الحدث، السريع والمباغت، المرعب والعجيب، عندما يقع، سيُصاب العالم بأسره بالذهول والشلل، ربما لشهر أو لعدة أشهر، وأول ما يُجابه به سماع خبره، هو عدم التصديق، وسيحتاج الغرب اليهودى الحليف لإسرائيل، إلى وقت طويل ليفيق من هول الصدمة، وليجد الغرب نفسه عاجزا، عن القيام بأى رد فعل سريع ومؤثر للمساعدة، فلا إسرائيل ولا يهود . أما من

هم فى الصف المناهض لإسرائيل وأمريكا من الشرق، فسيصابون بنفس الشعور، ولكن شعور لا يخلو من الشماتة باليهود إجمالا، وبأمريكا بشكل خاص . أما اليهود إجمالا، ويهود أمريكا بشكل خاص، فسيصابون بخيبة أمل كبيرة، وهم يرون أحلاهم التوراتية، تتحول إلى سراب .

وبعد امتصاص الصدمة الأولى، ستبدأ المواقف العالمية من هذا الحدث فى التبلور، لتجد أمريكا نفسها عندما تبدأ بالتحرك، لإعادة إحياء الدولة اليهودية، بدفع من سادتها اليهود المتربعين على عروشها، أنها تغنى منفردة خارج السرب العالمى، الذى أضحى مؤيدا ومعجبا بما قدّمه العراقيون، من حل سحرى لتلك المشكلة المستعصية، التى أرّقت جفون العالم طوال قرن من الزمان .

فالعرب من وجهة النظر العالمية، التى باتت مطّلعة على أدق تفاصيل القضية الفلسطينية، قد استعادوا أرضهم وحقوقهم، وإسرائيل بما قدّمته من أعمال وحشية وهمجية، خلال سنين عمرها، ضد أرض فلسطين وشعبها، وعدم استجابتها لقرارات الجهة التى أوجدتها، لا تستحق الوجود والبقاء . فالحق هو عودة فلسطين إلى أهلها العرب، والباطل هو وجود إسرائيل على أرض العرب، فإذا جاء الحق وزهق الباطل، فليس هناك مشكلة بالنسبة لمجمل دول العالم، التى لا تقع تحت الانتداب الأمريكى اليهودى المعاصر، فالمشكلة وُجدت بإقامة إسرائيل، فى قلب الوطن العربى، وزالت هذه المشكلة بزوالها .

الوعد والموعد والواقع :

وبالعودة إلى الوراء قليلا، نجد أن المسلمون أساءوا كثيرا، عندما مُنعوا من اداء العمرة، بصحبة رسول الله عليه الصلاة السلام، فى السنة السادسة للهجرة، وما زاد فى قهرهم هو ذلك الصلح، الذى منع دماء المشركين منهم، وأبقى المسجد الحرام فى أيديهم، لمدة عشر سنوات قادمة، فعقّب سبحانه وتعالى على ذلك قائلا (فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا ...)، والذى كان يعلمه رب العزة مسبقا، هو أنهم سيؤدون العمرة فى العام التالى، وأن هذا الصلح، الذى استاءوا من عقده مع مشركى قريش، وأضفى عليهم شعورا باليأس والإحباط، سيكون هو نفسه، سببا ومبررا لفتح مكة، عند نقضه من قبل قريش بعد سنتين من إبرامه، فعقّب بقوله (... فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (٢٧ الفتح) .

حتى أكثر المسلمين إيمانا ويقينا وتفاؤلا، لم يكن يتصوّر، لحظة منعهم من أداء العمرة وإبرام الصلح، بأن فتح مكة سيكون بعد سنتين فقط، من تاريخ تلك اللحظة، وبتلك الصورة الاحتفالية والمشرّفة، لتكون تأدية فريضتى الحج والعمرة، متاحة لهم فى أى وقت شاءوا .

وبالنظر لواقع المسلمين فى غزوة الأحزاب، وهم قلة، وقريش وقبائل الجزيرة بمشركيها ويهودها، يتربصون بهم ريب المنون، من الداخل والخارج، هل كان ممن الممكن أن يتصور أن هذه الحال، ستنقلب رأسا على عقب، بعد ثلاث سنوات، فيغزو المسلمين مكة بعشرة آلاف مقاتل ؟

وبالرغم من اختلاف طبيعة الوعود الإلهية، من حيث الثواب والعقاب، إلا أننا نتحدّث هنا عن الوعد بحد ذاته، لنقول بأن الوعد الإلهى، لا يحدّه زمان ولا مكان ولا واقع، ولا ننسى بأن وعد الآخرة، هو وعد بعقاب اليهود فى المقام الأول، ولكن هناك أسباب ومسببات لا بد أن تأخذ مجراها، قبل إتيان أمر الله .

قال تعالى

(وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ، وَلَوْلاَ أَجَلٌ مُسَمّى، لجَاءَهُمُ الْعَذَابُ، وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً، وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ) (٥٣ العنكبوت)، وقال (هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا، مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ، لِأَوَّلِ الْحَشْرِ، مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ، فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا، وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ، فَاعْتَبِرُوا يَأُولِى الأَبْصَارِ) (٢ الحشر)

وليتبروا ما علوا تتبيرا

قلنا فى نهاية تفسيرنا لعبارة (وليتبروا ما علوا تتبيرا) : أن كل ما علا بنو إسرائيل عليه أو به أو فيه، سيصله الدمار لا محالة، لعموم لفظ العلو، حتى علوهم فى الغرب ، إذ أن الذى أبقى علوهم قائما ومستمرا فى فلسطين، هو علوهم فى الغرب . ولذلك يصبح دمار الدول الغربية أمرا محتما، ليزول علو بنى إسرائيل فيها أيضا بشكل نهائى، وبذلك تنتفى تماما قدرتهم على العلو مرة أخرى، إذ أن هذا العلو، هو علوهم الأخير فى

الأرض..

ويؤكد سبحانه أن السبب، فى زوال هذا العلو، هم اليهود أنفسهم، حيث أن الله، كان قد اشترط عليهم الإحسان لإدامة هذا العلو، وحذرهم من زواله إن هم أساءوا، وجاء هذا الشرط مباشرة، قبل إخباره عن وعد الآخرة فى الآية السابعة، فاليهود حكموا على أنفسهم بالهلاك، وعلى علوهم بالزوال :

أولا : وذلك لأنهم لم يُحسنوا، بل على العكس، من ذلك أساءوا، ولم يألوا جهدا، بالإفساد فى الأرض، ضاربين بالتحذير الإلهى عرض الحائط .

ثانيا : والأنكى من ذلك أنهم، بأنهم قاموا بتوجيه رسالة أخرى لرب العزة، ومؤداها يقول : بأننا سنفعل ما يحلو لنا، وسنفسد فى الأرض، وسنمنعك من بعث عبادك الأشداء، الذين تُهدّدنا بهم، لأننا سنُبيدهم عن بكرة أبيهم، قبل أن تُفكر فى بعثهم، مظهرين إصرارا عز نظيره فى تحدّيهم لرب العزة، بأن ينزل بهم ما وعدهم، متّكلين على من هم دونه، لحمايتهم ووقايتهم من أمر الله، منكرين ربوبية الله وألوهيته، وقدرته على تصريف أمور الكون، وكذلك حقيقة البعث بعد الموت، وهذه الأمور هى ما تتناوله سورة الإسراء، على امتدادها، من وجوه متعددة، وبذلك تكون عداوتهم للعراق، وعدوانهم عليه، ورغبتهم فى تدميره وإبادة أهله سببا، فى خروج أهل العراق عليهم، انتقاما ودفعا لما يُحيق بهم من أخطار، فى حال استمر تواجد الدولة اليهودية على أرض فلسطين، ليخربوا بيوتهم بأيديهم وأيدى المسلمين .

ثالثا : هى حرب الله عليهم، لا حرب أحد، ذلك بأنهم تحدوا الله، وأعلنوا

حـربهم عليـه، وعلى كل من يؤمن به، ربا وإلها واحـدا أوحـدا، خـاب وخسـر الذين مـن دونه، وأن رب العـزة قبل التـحـدّى، وأعلن حـربه عليـهم، وهذا مـا تستشـعره من خـلال مجمل آيات سورة الإسراء، ولكن لم يتبقّى إلا أن تحين ساعة الصفر، ليروا من الله ما لم يكونوا يحتسبون .

وفى الأصل كما أوضحنا سابقا، أن علوهم غير المسبوق فى الغرب، هو الذى أوجد علوهم فى فلسطين لاحقا، وإذا كانت النتيجة، أى علوهم فى فلسطين، تستحق الزوال، فالأولى أن يُزال المتسبّب فيها، أى علوهم فى الغرب، حتى تنتفى فرصة ظهور تلك النتيجة (أى العلو اليهودى) مرة أخرى، فكما أن زوال دولة إسرائيل أمر حتمى، فزوال أمريكا أمر أكثر حتمية.

فاليهود لهم من حيث المكان إفسادين :

أولا : فى فلسطين، إفساد بسفك الدماء، وإخراج الناس من ديارها، والاستيلاء على ممتلكاتهم، وإتلاف الأخضر واليابس، ومنع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه، والسعى فى خرابها ... إلى آخره .

وثانيا : فى أمريكا والدول الغربية، إفساد بنشر العقائد المادية الإلحادية، وإشاعة الرذيلة والانحلال الخلقى والأخلاقى، فى شتى مناحى الحياة، بالإضافة إلى تفريق الناس وتصنيفهم واستضعاف طوائف منهم، وسومهم سوء العذاب، لدرجة حرقهم وإبادتهم، بالأسلحة التقليدية والنووية، وعلى قاعدة الجزاء من جنس العمل، لا شك لدى من أن كبرى المدن الأمريكية،

ستُضرب من السماء بصواريخ نووية، أو بشهب من السماء، مسببة دمارا كالدمار، الذى أحدثته قنابلها المدن اليابانية، ولكن على مدى أوسع بكثير .

زوال العلو اليهودى فى أمريكا، لن يتوانى كثيرا، عن زوال العلو اليهودى فى فلسطين :

قال تعالى (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ . أَيْنَ مَا ثُقِفُوا . إِلاَّ بِحَبْلٍ مِنْ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنْ النَّاسِ، وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ، ... (١١٢ آل عمران)، الذِّلة هى الضعةً والانخفاض، وهى نقيض العزة والعلو، وأين ما ثقفوا، أينما وجدوا، فى الأرض على امتداد رقعتها، وخلاصة ما تقوله هذه الآية، أن الشعب اليهودى كأمة وأفراد، سيمرّ بخمسة مراحل، هى ذات المراحل التى أشرنا إليها، فى نهاية الجزء الأول، وهى على التوالى : (ذل، علو، ذل، علو، ذل) . ومن ذلك نفهم أن صفة العلو، وهى المرحلة الرابعة، ستزول عنهم فى شتى بقاع الأرض، سواء فى إسرائيل أو فى أمريكا، أو فيما سواها من دول العالم، ليدخل الشعب اليهودى بأسره، فى المرحلة التى تليها، ولتعود إليه صفة الذل التى هى القاعدة، أينما وجد أيضا، وعلى مستوى الأفراد والجماعات، حيث كان العلو استثناءً لمرتين فقط . ولن يتحصّل ذلك إلا بانكسار وزوال كل الدول، التى يوجد بها علو يهودى ظاهر، وفى مقدّمتها أمريكا .

ولو أننا نظرنا إلى أمريكا كدولة، وما تقوم به حاليا، نظرة مُتفحصّة وشاملة، سنجد أنها فاقت فرعون، فى علوه واستعلائه وفساده وإفساده، باحتضانها للعقائد اليهودية الشيطانية، والسهر على تطبيقها وترويجها، فى

الأرض على عمومها، بالترغيب تارة وبالترهيب تارة أخرى .

والعقاب الإلهى الموعود به بنو إسرائيل، كان للإفساد الناجم عن العلو، وعلوهم الآن يتمثل فى مكانين تحديدا، هما فلسطين وأمريكا، وفضلا عن ذلك، فإن أمريكا المتعالية على شعوب الأرض، وبصرف النظر عن كونها مكانا للعلو اليهودى، ستكون هدفا مؤكدا لانسكاب الغضب الإلهى عليها، بما يفوق الغضب الإلهى على إسرائيل، وذلك لأن أمريكا، تجمع ما بين علوين وإفسادين، هما : العلو والإفساد اليهودى، والعلو والإفساد الذاتى لها، ليتأكد لنا أنها أولى من إسرائيل بالعقاب، وبما هو أشد بأسا وأشد تنكيلا، وهذا بإذن الله، ما سنشهده فى السنوات القليلة القادمة، وما ذلك على الله بعزيز..

وقد يستغرب ويستنكر كثير، من أمة الإسلام، والأصح من المؤمنين بالإله (أمريكا)، مجرد التفكير بأن أمريكا ستزول، وكأنهم لا يقرءون قوله تعالى (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِى الأَرْضِ، فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَىْءٍ، فِى السَّمَوَاتِ وَلاَ فِى الأَرْضِ، إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (٤٤ فاطر) .

وقوله (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِى الأَرْضِ، فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ، كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى الأَرْضِ، فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ، وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (٢١ غافر)

ما بعد الغزو العراقى لإسرائيل :

بعد امتصاص يهود أمريكا والغرب للصدمة، من جرّاء الكارثة التى حلّت ببنى جلدتهم فى فلسطين، ستبدأ الماكينة اليهودية فى الغرب، فى بذل أقصى طاقاتها، وعمل ما بوسعها لإعادة عقارب الساعة، قبل فوات الأوان، من خلال الدبلوماسية فى مجلس الأمن، لشن حرب دولية تحت غطاء الشرعية الدولية، لتحرير إسرائيل من العرب، كما كان الأمر عند مطالبتهم بتحرير الكويت، وستُفاجأ هذه الماكينة اليهودية، ببرود وجمود شديدين، لم يسبق لها أن واجهتهما، من قبل معظم دول العالم، لتُثبت عدم نجاعتها هذه المرة، وستجد مشاريع القرارات الأمريكية والبريطانية والفرنسية، فيما لو طُرحت، معارضة شديدة من قبل روسيا والصين، حتى لو تطلّب الأمر استخدام حق النقض من قبلهما، خوفا من الدخول فى مواجهة، لا تُحمد عقباها مع العالم، بين الغرب المسيحى والشرق المسلم .

وربما يأخذ الأمر قرابة السنتين بين مدّ وجزر، حتى يستطيع اليهود تحريض أمريكا، وبعض دول الغرب من حلف الناتو، وحملها على تحريك أساطيلها، باتجاه شواطئ البحر المتوسط، لشنّ حرب مصيرية على العرب، ضاربة بمجلس الأمن وغطاءه الشرعى - بعد اليأس من الحصول عليه - عُرض الحائط .

وعلى الجانب الآخر، سيضطر العرب والمسلمون، لتوحيد صفوفهم كرها من البعض، وطواعية من البعض الآخر، والانضواء تحت لواء واحد، للدفاع عن الأقصى بعد عودته إلى حظيرة الإسلام، وسيبدأ التقارب العربى الروسى الصينى، على ما يبدو فى التشكل، إلى ما يُشبه الحلف العسكرى، وربما يكون باتفاقيات مكتوبة، والله أعلم .

الفصل الثالث

الحرب العالمية الثالثة، والسيناريو المحتمل لمعركة هرمجدون

الحرب العالمية الثالثة، والسيناريو المحتمل :

بوجود القيادة الحالية غير المتزنة لأمريكا، وبتأييد من صهاينة الحزب الجمهورى، سيتمكن اليهود أخيرا من جرّ أمريكا، للدخول فى مواجهة غير محسوبة، مع العالمين العربى والإسلامى، بدفع من العقائد الدينية المشوّهة، فيما يخص وجود اليهود فى فلسطين، وعودة المسيح الثانية للنصارى والأولى لليهود، بالإضافة إلى الرغبة فى الانتقام للمكانة الأمريكية، التى مُرّغت فى التراب أمام العالم أجمع، بزوال مسخها الخداج بطرفة عين، دون أن يُعير العرب عظمة أمريكا وجبروتها أدنى انتباه .

فى ظرف سنتين من استعادة العرب لفلسطين، ستُعلن أمريكا، حربها اليهودية الصليبية المقدّسة على العرب والمسلمين، مما يُثير حالة من عدم الاستقرار فى سائر أرجاء العالم، وستبدأ المواقف العالمية من هذا الإعلان شيئا فشيئا، بالتباين والتمايز، بشكل لم يسبق له مثيل، لينقسم إلى العالم معسكرين شرقى وغربى . يقف إلى جانب العرب معظم الدول المناهضة لأمريكا فى الشرق وفى مقدمتها روسيا، ويقف إلى جانب أمريكا دول حلف الناتو وملحقاته .

وعندما تبدأ أمريكا بحشد قواتها وأساطيلها فى البحر الأبيض، وتبوء كل المحاولات والتحذيرات والتهديدات العالمية، لثنى أمريكا عن عزمها بالفشل، وتصبح المواجهة أمر لا مفر منه، ستتطور المواقف الدولية فجأة، وتتحول إلى أحلاف عسكرية، بحيث تضطر وتنجرّ الكثير من الدول، للمشاركة الفعلية

فى الحرب الدائرة، وعلى ما يبدو أن أمريكا نتيجة لذلك، ستفقد زمام السيطرة مبكرا، وربما تلجأ إلى استخدام السلاح النووى، فى وقت ما يضرب بعض العواصم العربية، كبغداد والقاهرة على سبيل المثال، وربما يكون ذلك قبل الحرب البرية، ظنا منها أن ذلك، سيحسم المعركة لصالحها، فى وقت مبكر .

ولكن ما لن يكون فى حساب أمريكا، هو ردّ الفعل الروسى والصينى العنيف، على استخدام أمريكا لهذا السلاح، لتبدأ الصواريخ النووية الروسية وربما الصينية، تنهال على أمريكا تباعا، دون سابق إنذار، لتبيدها عن بكرة أبيها، هذا إن لم يُسقط عليها رب العزة، كسفا من السماء . ومن ثم تبدأ الحروب البينية، بين دول العالم المختلفة المتخاصمة، فيختلط الحابل بالنابل، لتشمل هذه الحرب معظم بقاع العالم . ولدخول الأسلحة النووية دائرة الصراع، ستكون هذه الحرب سريعة وقصيرة وحاسمة، ولكن حجم الدمار فيها سيكون هائلا جدا، وستنتهى بالمواجهة البرية البحرية على سواحل فلسطين، بين الغرب والشرق، بانتصار العرب والروس نصرا مؤزرا، بإذن الله .

تحالف الروس والعرب ونصرهم على عدو مشترك :

عَنْ عَوْفَ بْنَ مَالِك، قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِى غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِى قُبَّةٍ مِنْ أَدَم، فَقَالَ : " اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَىِ السَّاعَةِ : مَوْتِى، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ،

حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مائَةَ دينَار فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لاَ يَبْقَى بَيْتٌ مِنْ الْعَرَبِ إلاَّ دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِى الأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا) رواه البخارى، وأخرجه أبو داود وابن ماجه وأحمد .

جاء فى شرح هذا الحديث فى فتح البارى : " قوله هدنة، هى الصلح على ترك القتال بعد التحرك فيه، قوله بنى الأصفر، هم الروم، قوله غاية أى راية " .

يخبر هذا الحديث عن هدنة تكون بين المسلمين والروم، والهدنة كما جاء فى الشرح، هى صلح على إيقاف القتال قبل اشتعال فتيله أو فى بداياته، ومن ثم يغدر الروم فيغزون ديار المسلمين، بجيش قوامه ما يُقارب المليون جندى .

أما الهدنة وما يسبقها، فيوضحه الحديث التالى :

عَنْ حَسَّانَ بْن عَطِيَّةَ، قَالَ : مَالَ مَكْحُولُ وَابْنُ أَبى زَكَرِيَّا، إلَى خَالِدِ بْن مَعْدَانَ، وَمِلْتُ مَعَهُمْ، فَحَدَّثَنَا عَنْ جُبَيْر بْن نُفَيْر، عَنْ الْهُدْنَة، قَالَ : قَالَ جُبَيْرٌ : انْطَلِقْ بِنَا إلَى ذِى مِخْبَر، رَجُل مِنْ أَصْحَابِ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَيْنَاهُ، فَسَأَلَهُ جُبَيْرٌ عَنْ الْهُدْنَةِ، فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ : " سَتُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا آمنًا، فَتَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِكُمْ، فَتُنْصَرُونَ، وَتَغْنَمُونَ، وَتَسْلَمُونَ، ثُمَّ تَرْجِعُونَ، حَتَّى تَنْزِلُوا بِمَرْج ذِى تُلُولٍ، فَيَرْفَعُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ الصَّلِيبَ، فَيَقُولُ : غَلَبَ الصَّلِيبُ،

فَيَغْضَبُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَدُقُّهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ، تَغْدِرُ الرُّومُ، وَتَجْمَعُ لِلْمَلْحَمَةِ "، رواه أبو داود، وصحّحه الألبانى وأخرجه ابن ماجه وأحمد والحاكم والبيهقى .

وتكملة للحديث، فى رواية أخرى بسند آخر لابن ماجه " فَيَجْتَمِعُونَ لِلْمَلْحَمَةِ، فَيَأْتُونَ حِينَئِذٍ، تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةٍ، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا " .

جاء فى شرح هذا الحديث فى (عون المعبود) : " الروم جيل معروف، فى بلاد واسعة تضاف إليهم، فيقال بلاد الروم، ومشارق بلادهم وشمالهم الترك والروس والخزر، وجنوبهم الشام والإسكندرية، ومغاربهم البحر والأندلس، وكانت الرقة والشامات كلها، تعد فى حدودهم أيام الأكاسرة، وكانت أنطاكية دار ملكهم، إلى أن نفاهم المسلمون إلى أقصى بلادهم انتهى ... فسأله جبير عن الهدنة، أى الهدنة التى تكون بين المسلمين وبين الروم، آمنا أى ذا أمن، فتغزون أنتم، أى فتقاتلون أيها المسلمون، وهم أى الروم المصالحون معكم، عدوا من ورائكم أى من خلفكم، وقال السندى فى حاشية ابن ماجه، أى عدوا آخرين بالمشاركة والاجتماع، بسبب الصلح الذى بينكم وبينهم، فتُنصرون بصيغة المجهول، وتغنمون بصيغة المعلوم أى الأموال، وتسلمون من السلامة، أى تسلمون من القتل والجرح فى القتال، ثم ترجعون أى من عدوكم، حتى تنزلوا، أى أنتم وأهل الروم بمرج، أى الموضع الذى ترعى فيه الدواب قاله السندى، وفى النهاية أرض واسعة ذات نبات كثيرة، ذى تلول بضم التاء جمع تل، وهو موضع مرتفع، قاله القارى، وقال السندى : كل ما اجتمع على الأرض، من تراب أو رمل انتهى . فيقول أى الرجل منهم، غلب الصليب أى

دين النصارى، فيدقه، أى فيكسر المسلم الصليب، تغدر الروم أى تنقض العهد، وتجمع أى رجالهم ويجتمعون للملحمة أى للحرب " .

هذا الحديث يُخبر بأن هناك صلحا آمنا، أى لا قتال فيه، سيكون بين المسلمين والنصارى، لمدة من الزمن، ثم يُقاتلون جنبا إلى جنب عدوا مشتركا، فينتصرون بلا خسائر، وبعد النصر يقع الخلاف بين المنتصرَيْن، بسبب إدعاء أحد النصارى، أن النصر كان للصليب دون الإسلام، فيقتتل الطرفان، ومن ثم يُفض الاشتباك، وتعلن الهدنة، ومن ثم يعود النصارى إلى ديارهم مضمرين الغدر، ليعودوا فى قادم فى الأيام، فى جيش عرمرم، لغزو المسلمين فى زمن المهدى .

الروم قديما وحديثا :

نعلم أن الإمبراطورية الرومانية القديمة، كانت قد انقسمت إلى قسمين شرقى وغربى، واتخذت القسطنطينية عاصمة للجزء الشرقى، وروما عاصمة للجزء الغربى، وذلك قبل ظهور الإسلام بحوالى مائتى سنة، وبقيت القسطنطينية عاصمة، لمملكة الروم الشرقية منذ ذلك الوقت، حتى تم فتحها، على يد محمد الفاتح، سابع السلاطين العثمانيين، وبذلك اختفت مملكة الروم الشرقية إلى الأبد، وأما سكان تركيا الحاليين فمعظمهم من الأتراك المتأسلمون، الذين يعودون فى أصولهم إلى غرب الصين، مع بقاء نسبة قليلة من النصارى فيها، ذوى الأصول الرومية، أما النسبة الأكبر من الروم، فقد هاجرت وانتشرت، فيما حولها من بلدان أوروبا الشرقية .

ولنذكر هنا أن المسلمين، حاصروا القسطنطينية إحدى عشرة مرة، ولم يتمكنوا من فتحها، إلا بعد أن بدأت شمس العثمانيون الترك، بالظهور فيما يُسمى بآسيا الصغرى، بعد ضعف الدولة السلجوقية وانحلالها عام ١٣٠٠م تقريبا، فبدأت دولتهم بالاتساع غربا، على حساب مملكة الروم الشرقية، شيئا فشيئا، حتى اقتصرت مملكة الروم الشرقية، على القسطنطينية وضواحيها، عندما تسلّم محمد الفاتح لمقاليد الحكم، وهو الذى لم يتوانى عن فتحها سنة ١٤٥٣م . ومن ثم استمرت فتوحات العثمانيين، حتى شملت معظم بلدان منطقة البلقان، فى أوروبا الشرقية .

والمتتبع للتاريخ الحديث، سيجد أن روسيا القيصرية بعد بزوغ شمسها، أصبحت الوريث الأكبر، لمملكة الروم الشرقية بعد زوالها، حيث كانت وما زالت فى القرون الأخيرة، تحاول تنصيب نفسها كراعية وحامية، لمصالح نصارى الشرق ذوى المذهب الأرثوذكسى، وأخذت على عاتقها، بعد أن اشتد عودها، مهمة استعادة القسطنطينية من الأتراك، ومن ثم إعادتها كعاصمة دينية للكنيسة الأرثوذكسية، كما كانت فى السابق، وهو ما تحاول الاستئثار به حاليا، الكنيسة اليونانية الموالية للغرب . وفيما يلى بعض البنود التى جاءت فى وصية بطرس الأكبر، المؤسس الحقيقى للملكة الروسية، فى أواخر القرن السابع عشر، من كتاب (تاريخ الدولة العثمانية) لفريد بك المحامى :

" البند التاسع : ينبغى التقرب بقدر الإمكان، من استنبول والهند، وحيث انه من القضايا المسلمة، أن من يحكم على استنبول، يمكنه حقيقة أن يحكم على الدنيا بأسرها، ...

البند الحادى عشر : ...، وحينما نستولى على استنبول، علينا أن نسلط دول أوروبا القديمة، على دولة النمسا حربا، أو نُسكن حسدها ومراقبتها لنا، بإعطائها حصة صغيرة من الأماكن، التى نكون قد أخذناها من قبل، وبعدها، نسعى إلى نزع هذه الحصة منها .

البند الثانى عشر : ينبغى أن نستميل لجهتنا جميع المسيحيين، الذين هم من مذهب الروم، المنكرين لرياسة البابا الروحية، والمنتشرين فى بلاد المجر والممالك العثمانية، ونجعلهم أن يتخذوا دولة روسيا مرجعا ومعينا لهم، ومن اللازم قبل كل شىء، إحداث رياسة مذهبية، حتى نتمكن من إجراء نوع من السلطة الدينية عليهم ... " .

المذاهب النصرانية :

كل النصارى بلا استثناء أعداء للإسلام والمسلمين، ولكن بالنظر إلى الطوائف الثلاثة الكبرى، المهيمنة على العالم المسيحى، نجد أن معتنقى المذهب البروتستانتى، والذى تُمثّله أمريكا وبريطانيا وهولندا، هم الأشدّ عدواة وكراهية للمسلمين والعرب بشكل خاص، والمعروفين بميلهم وتأييدهم لليهود . ويليهم فى ذلك معتنقى المذهب الكاثوليكى، والذى تُمثّله فرنسا وإيطاليا وألمانيا وإسبانيا وباقى الدول الغربية، وأقلّهم عدواة وكراهية هم معتنقى المذهب الأرثوذكسى، والذى تُمثّله روسيا ودول أوروبا الشرقية .

والمتتبع للتاريخ القديم والحديث، سيجد أن الطوائف المسيحية الثلاثة على خلاف دائم، وأن العداوة والبغضاء، مستفحلة وذات جذور عميقة،

فنصارى الشرق الأرثوذكس، لم ينسوا ولم يغفروا، لنصارى الغرب من الكاثوليك، ما أوقعوه بهم من مذابح فى حملات الغرب الصليبية، ولم يقبلوا مؤخرا اعتذار البابا عنها . والعداوة والبغضاء مستفحلة، حتى بين الكاثوليك والبروتستنت من جهة أخرى، كما هو الحال فى أيرلندا الشمالية، وهذا ما أخبر عنه سبحانه وتعالى فى قوله (وَمِنْ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى، أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ، فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِه، فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمْ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١٤ المائدة)، وهذه العداوة والبغضاء لا انقطاع لها، مستمرة إلى يوم القيامة، وهذا ما أكدّه التاريخ الأوروبى القديم والحديث .

والمتتبع للتاريخ الإسلامى والعربى، سيجد أن ما تُخبر عنه هذا الأحاديث النبوية أعلاه، من شأن مصالحة المسلمين أو العرب للنصارى، والتحالف معهم ضد عدو مشترك، وتحصّلهم معا على النصر والغنيمة والسلامة، ومن ثم الاختلاف، وإضمار الغدر، وعودة الروم لمقاتلة المسلمين، لم يكن قد تحصّل قديما أو حديثا . وبما أن الدنيا تعدّ سنواتها الأخيرة، وأشراط الساعة الكبرى باتت على الأبواب، فلا شك أن هذه الحرب، التى سيخوضها المسلمين والنصارى جنبا إلى جنبا، ضد عدوهم المشترك، للمرة الأولى والأخيرة، ستقع فى وقت قريب . والأحاديث النبوية، تُخبر أن هناك ثلاثة أطراف : المسلمون، والروم، وعدو مشترك للمسلمين والروم .

وبما أن هذا الحدث سيقع ضمن معطيات الواقع الحالى، ومن خلال قراءة الواقع، فى ضوء ما أخبرت عنه الأحاديث، سنجد أن الروم ما زالوا

ينقسمون إلى قسمين :

- نصارى الشرق من معتنقى المذهب الأرثوذكسى، وهم المُقيمون إجمالا فى أوروبا الشرقية، أو دول حلف وارسو القديم، الذى كانت فيه الزعامة، وما زالت للدولة الروسية .

- نصارى الغرب من معتنقى المذهب البروتستانتى والمذهب الكاثوليكى، وهم المقيمون إجمالا فى أمريكا وأوروبا الغربية، أو دول حلف الناتو بزعامة أمريكا .

وكلا الفريقين يُكنّ عداوة مذهبية، قل نظيرها، للفريق الآخر ولو نظرنا إلى الواقع الحالى، لوجدنا أن أمريكا وبريطانيا وفرنسا، هى الدول الأشد عداءً للعرب والمسلمين، منذ حروبهم الصليبية الأولى، التى كانت تقودها فرنسا بصفتها الراعية للمذهب الكاثوليكى، منضويا تحت لوائها كل من ألمانيا وإيطاليا وإنكلترا، وحتى حروبهم الاستعمارية فى العصر الحديث بقيادة أمريكا، وما موالاة هذه الدول لبعض الدول العربية إلا مداهنة، من قبيل الحرص على مصالحها فقط، بل هى أكثر مقتا واحتقارا وامتهانا، لتلك الدول نفسها من غيرها . ولوجدنا أيضا أن الروس، ونصارى الشرق إجمالا، ممن يعتنقون المذهب الأرثوذكسى، هم الأقلّ عداءً للعرب والمسلمين من مجموع المذاهب النصرانية .

لنخلص إلى القول، بأن الفريق الذى سيكون حليفنا فى المعركة القادمة هم الروس، ضد عدونا وعدوهم المشترك، أمريكا ومن شايعها من دول حلف

الناتو . وأن هذا التحالف بين الروس والعرب، سيحصل بدافع المصالح أولا، وعلى قاعدة عدو عدوى صديقى ثانيا، وليس حبا بالعرب أو بالمسلمين، ولكن لتعارض مصالحهم مع مصالح الأمريكان، ولكراهية الروس المذهبية لأمريكا واليهود .

هذه الحرب الأبشع فى تاريخ البشرية، أجد أحداثها ونتائجها موصوفة فى كثير من الآيات، فى مطالع سور كثيرة من سور القرآن، والتى يعتقد معظم الناس، أنها تُخبر عن أحداث يوم القيامة، ومنها اشتعال البحار، واضطراب السماء، وزلزلة الجبال وانهيار بعضها، وحتى الأسلحة المستخدمة فى الحروب الحديثة، كان سبحانه قد أخبر عنها، أيضا فى مطالع السور، فالطارق هو الصاروخ، والعاديات هى الدبابات، وربما نفرد لهذا الأمر بحثا خاصا، إن شاء الله، فى وقت لاحق، وسيكون متوافرا على نفس موقع الكتاب، هذا إن أسعفنا الوقت، وكان فى العمر بقية .

النتائج المتوقعة للحرب العالمية الثالثة :

١ - تدمير عدد كبير من المدن الكبرى، وخاصة فى أمريكا ومن شايعها من الدول فى الشرق والغرب .

٢ - ارتفاع هائل ومفاجئ، فى درجة حرارة الأرض نتيجة التفجيرات النووية، ذوبان الكتل الجليدية القريبة من القطب الشمالى للكرة الأرضية، وتبخر مياه المحيطات والبحار، وعودتها على شكل أمطار غزيرة، مما يتسبب فى طوفان كبير، أشبه ما يكون بطوفان نوح عليه السلام، وبالتالى اختفاء

بعض البلدان والجزر غرقا .

٣- اختفاء معالم الحضارة الغربية ومظاهرها، من خلال الموت البطىء للتكنولوجيا المتبقية، لعدم القدرة على تجديدها، بكسر حلقة أو أكثر من حلقات سلسلة إنتاجها، (نفط _كهرباء _تقنية _كهرباء _نفط) .

٤ - عودة منطقة الشرق الأوسط كبؤرة للنشاط والصراع العالمى، كما كانت فى العصور القديمة .

٥ - عودة عصور الجاهلية الأولى، فى أبشع صورها، بما فيها من ظلم وجور وفساد وإفساد، والله أعلم .

قال تعالى

(وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا . مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلاَ لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا . فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى ءَاثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا . إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا . وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا).

(الكهف: ٤ ـ ٨)

الفصل الرابع

حساب الجمل ونهاية إسرائيل وأمريكا.........خرافات رقمية

حساب الجمل ونهاية اسرائيل وأمريكا........خرافات رقمية

كان جلّ اهتمامى فى البداية محصورا، لإثبات نظرية زوال دولة إسرائيل قبل ظهور المهدى، ومن ثم معرفة هؤلاء العباد، الذين سيكونون سببا فى زوالها، والكيفية التى ستزول بها، ولم أكن قد فكّرت فى بحث مسألة معرفة موعد زوالها، إلا بعد أن اطّلعت على كتاب (زوال إسرائيل عام ٢٠٢٢م) للكاتب بسام جرار، والذى كان قد بحث هذا الأمر من قبل . وجدت أن الكاتب توغل فى حسابات كثيرة ومعقّدة، كانت أحيانا عصيّة على الفهم والمتابعة، وأنّ محاولته لتحديد موعد زوال إسرائيل، من خلال تلك الحسابات غير مقنعة . ولكنّ طرحه لفكرة استخراج الموعد، من سورة الإسراء، أمر لفت انتباهى، وأوجد لدى الدافع للبحث فى أمر العدد والحساب، لاستخراج موعد زوال الدولة اليهودية .

مسألة العدّ فى القرآن :

أغلب رجال الدين إلا من رحم ربى، يُنفّرون من مسألة العدّ فى القرآن، ومنهم من يُنكر ذلك جملة وتفصيلا، وربما يذهب البعض إلى اتهام من يبحث فى هذا الأمر، بالسحر والشعوذة والتنجيم . بالرغم من ذلك فإن هذا النوع من الإعجاز، الذى يُظهر ما يكتنفه القرآن، من توافق وترابط عددى لغوى، بدأ مؤخرا يفرض نفسه بشكل ظاهر، وصدرت فيه بعض الكتب والمؤلفات حديثا .

ويتذرّع البعض فى معرض إنكاره واستنكاره، لمسألة العدّ فى القرآن، بعدم

وجود، خبر صريح وصحيح، عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، أتى من قريب أو بعيد على ذكر هذه المسألة، ولكن فى المقابل، هل يوجد خبر أو حتى أثر، يُنكر وجود الإعجاز العددى فى القرآن، أو ينهى عن البحث فى أمر إثباته وبيانه، وهل وضع رسول الله عليه الصلاة والسلام، تفسيرا للقرآن أو كتابا بيّن فيها أوجه الإعجاز كلها، فلم يترك المجال لباحث أو مجتهد ؟! وهل نجعل من استغلال أشخاص أو طوائف، للأعداد الواردة فى القرآن، بشكل غير سوى، عقبة فى طريق بحث هذه المسألة .

وأما الفترة الزمنية التى سينفذ فيها وعد الآخرة، والتى سنكشف عنها فى هذا الفصل، فنحن لم نقم بتحديدها، فهى محددة أصلا من قبله سبحانه وتعالى، فى سورة الإسراء، وكل ما قمنا به، هو الكشف عن هذه الفترة الزمنية، وقراءتها بشكل صحيح ودقيق . وبما أن القرآن جاء بكل هذه التفاصيل، من حيث ماهية العباد وكيفية الدخول وموعده، وبالرغم من كونه حدثا مستقبليا، فإن حيثيات هذا الوعد، لم تعد بوجودها فى القرآن غيبا على الإطلاق، وقراءة وفهم ما هو معلوم، إذا اعترى الإنسان قصور فى القراءة أو الفهم، لا يُقال عنه كشفا للغيب، إلا إذا كان ذلك من قبيل تعزية الإنسان لنفسه، فذلك شأن آخر .

ورد فى القرآن والسنة، الكثير من النبوءات المستقبلية، وفيما يلى سنطرح مثالا، ربما يجعل هذا الفصل قابلا للهضم والفهم، فلنأخذ على سبيل المثال، النبوءة المستقبلية، بانتصار الروم على الفرس، فى سورة الروم، حيث قال تعالى (غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِى أَدْنَى الأَرْضِ، وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣)

فِى بِضْعِ سِنِينَ، لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ، يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَعْدَ اللَّهِ، لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧)

١ - جاء النص القرآنى، بفعل ماض مبنى للمجهول، فأظهر المغلوب ولم يظهر الغالب .

٢ - وأضاف نبأ جديدا، وهو غلبة الروم مستقبلا، لمن غلبهم فى الماضى .

٣ - وحدّد فترة زمنية لتحقّق ذلك ببضع سنين .

٤ - وأفاد بأن المؤمنين سيفرحون عند تحقّق هذا الأمر .

٥ - وأكدّ على أنه وعد من الله، وأن الله لا يُخلف وعده .

٦ - وعقّب بقوله (ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون)، مما يكون من أمر الله .

٧ - وأما ما يعلمه الناس، فهو ظاهر الحياة الدنيا، أى الواقع الذى يستشعرونه بحواسهم فقط .

٨ - أما أمر الغيبيات، التى أخبر عنها سبحانه فى كتابه، ومنها الحياة الآخرة فهم عنها غافلون .

فلو قلنا بأن هذه النبوءة تقول : بأن الروم سيهزمون الفرس فى فترة زمنية، تتراوح ما بين (٣ - ٩) سنوات، سيقول من لم يعلم بظروف هذه

النبوءة، ولم يعلم التاريخ، ولم يعلم أن البضع فى لغة العرب يساوى (٣ - ٩)، أن هذا النص غير مكتوب فى القرآن، فكيف عرفت أن الذين سيُهزمون هم الفرس ؟ وأن ذلك سيتم فى فترة، لا تقل عن ٣ سنوات، ولا تزيد عن ٩ سنوات ؟

نلاحظ أن هذه النبوءة كانت واضحة بالنسبة للمسلمين، من حيث من سيغلب من، ولكن زمن التحقّق جاء فضفاضا، إذ لم يشأ سبحانه مع علمه، الكشف عن الزمن بشكل دقيق، ولكنه أعطى فترة زمنية على مدى ٦ سنوات تقريبا، ليترك المجال لجريان الأسباب والمسبّبات، التى من شأنها أن تترجم النبوءة على أرض الواقع، دون تعطيل من البشر، من جرّاء العلم المسبق بحيثياتها .

ولو تمعنّا فى التعقيب الأخير فى الآية (٧)، الذى جاء فيها على مجمل، ما أخبر عنه سبحانه فى الآيات السابقة لها، ستجد أن هناك حكمة إلهية، من الإخبار عن شأن هذا الحدث المستقبلى . ألا وهى زفّ البشرى للمؤمنين، بحتمية النصر مستقبلا، فكما تحقّقت هذه النبوءة وهذا الوعد، على أرض الواقع، فسيُنجز الله كل ما وعد به فى كتابه الكريم، ليزداد المؤمنون إيمانا ويقينا، بصدق كل ما حواه هذا الكتاب، من شأن الدنيا والآخرة، ماضيا وحاضرا ومستقبلا، وصدق من أنزله، وصدق وأمانة من أُرسل به، هدى ورحمة للعالمين .

وتراوحت غايات الإخبار عن أنباء المستقبل، ما بين البشارة والنذارة،

وأهم الأنباء المستقبلية، التى يريد رب العزة أن يتيقن منها الناس، هى اليوم الآخر، بما فيه من بعث وحساب وثواب وعقاب، وهذه الحقيقة تكاد لا تخلو أى من سور القرآن، من ذكرها والتذكير بها، إذ أن مؤدى إنكار اليوم الآخر، حتى ولو قُرن مع الإيمان بالله، هو عبث وعبثية، ليُصبح إحسان الإنسان، مرتبط بما يتحصّل عليه من مكاسب دنيوية فقط، وبذلك يفسد الناس وتفسد الأرض، فيحل بهم الهلاك، ولذلك عقّب سبحانه، بعد الإخبار عن هذه النبوءة بقوله (... وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧ الروم) .

وقد جاءت أخبار النبوءات المستقبلية فى القرآن والسنّة مسبقا، لتتحقّق فى أزمان يكون المؤمنين فيها، بأمس الحاجة لما يقوى إيمانهم، ويُثبّتهم على دينهم، ويشدّ من أزرهم، فى مواجهة أهل الكفر والفسوق والعصيان، كما هو الحال مع النبوءة السابقة . وجاءت أيضا لتتحقّق فى أزمان يكاد فيها الإيمان، أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، لتُعيد له الحياة فى قلوب أصحابه، ولينفضوا ما علق بأرواحهم، وما أغشى أبصارهم وبصائرهم، من رماد هذه الدنيا، التى أوشكت على الفناء . فإذا ما عاصر الناس، تحقّق نبوءة على أرض الواقع، مما أخبر به القرآن، أثبت هذا القرآن للناس، بشكل قاطع وملموس محسوس، بأنه من لدن حكيم عليم، عالم للغيب والشهادة، وأن لا بد للناس من المثول بين يديه، فالموت ليس نهاية المطاف، بل هو بداية رحلة لا نهاية لها، من الشقاء أو من السعادة .

سورة الكهف:

كنت قد قرأت فيما سبق، بعضا من كتب الإعجاز العددى فى القرآن، ومن ضمنها كتاب بسام جرار بعنوان (إعجاز الرقم ١٩)، حيث قال بسام جرار فيه :

((كنت أقرأ سورة الكهف، فخطر ببالى أن أحصى الكلمات، من بداية قصة الكهف (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ)، وعندما وصلت إلى الآية (٢٥) : (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ)، وإذا بالكلمة، التى تأتى بعد هذه العبارة مباشرة، هى الكلمة رقم (٣٠٩)، ونحن نعلم أنهم لبثوا فى كهفهم (٣٠٩) سنوات، كما نص القرآن الكريم)) . كان هذا نقلا حرفيا، لما جاء فى الكتاب، وكان هذا الكتاب، سابقا لكتاب (زوال إسرائيل) بعدة سنوات .

عندما قرأت هذه المعلومة، أحببت أن أتأكد من صحتها، فقمت بإجراء نفس عملية الإحصاء آنذاك، فتبيّن لى صحة الخبر . ظننت فى بادئ الأمر، أن المقصود هو إظهار التوافق العددى اللغوى، ما بين عدد السنين التى لبثها هؤلاء الفتية فى الكهف، وعدد كلمات القصة التى تروى خبرهم، وهو بحدّ ذاته شىء جميل وعجيب . ولكن عندما رغبت فى البحث، فى مسألة زوال إسرائيل فيما بعد، حيث لم أقتنع بحسابات بسام جرار، أصبح لهذا المثال المطروح فى سورة الكهف، معنىً أخرا .

تصفّحت سورة الإسراء مرارا وتكرارا، ولفت انتباهى أن موضوع السورة بشكل عام، هم بنى إسرائيل أنفسهم، " وبنى إسرائيل " هو الاسم التوقيفى

للسورة، كما ورد فى جميع الأحاديث والروايات، التى جاءت على ذكرها، وأما ما تُركّز عليه السورة بشكل خاص، هو قصة المرتين، وما فيهما من إفساد وعلو ووعد كل منهما، والملاحظ أن القصة لها بداية ولها نهاية . قمت بالمقارنة بين القصتين، وفى مخيلتى تساؤل مفاده، أليس من الممكن أن يكون سبحانه، قد طرح هذا المثال الموجود فى سورة الكهف، لكى نقوم بتطبيقه فى سورة الإسراء، لاستخراج موعد هلاك بنى إسرائيل فى المرة الثانية .

وجعلنا لمهلكهم موعدا :

تُركّز سورة الإسراء بشكل كبير، على ذكر وعد الآخرة، وهو وعد بهلاك بنى إسرائيل وزوال دولتهم، وهذا الوعد له موعد، ويقول سبحانه وتعالى فى سورة الكهف، التى تلى سورة الإسراء مباشرة (...، بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (٤٨) ...، بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ، ... (٥٨) وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا، وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا (٥٩)، هذا التكرار لكلمة موعد، والتأكيد على أن هناك موعد، أمر ملفت للنظر . حاولت فى البداية إيجاد أوجه الشبه بين السورتين، ومن ثم عُدّت إلى سورة الكهف، وقمت بدارسة وتحليل المثال المطروح فيها، فوجدت نفسى أمام درس إلهى، فى رياضات من نوع آخر . خرجت منه بعدة قواعد رياضية، فتملكنى شعور آنذاك، أن هذا المثال، إنما وُضع ليكون بمثابة مفتاح، للكشف عن موعد هلاك بنى إسرائيل، فى سورة الإسراء .

قصة أصحاب الكهف :

بعد إطلاعى على قصة أصحاب الكهف، من خلال كتاب (أهل الكهف)، لإحدى دور النشر الأردنية - لا أذكر اسم المؤلف - الذى يؤكد فيه المؤلف، أن الكهف المعنى، هو الكهف الموجود، بالقرب من مدينة مادبا الأردنية، وأن أحداث القصة، وقعت بعد وفاة عيسى عليه السلام، وقبل بعث محمد عليه الصلاة والسلام، حيث كانت الإمبراطورية الرومانية الوثنية آنذاك، مسيطرة على المنطقة، وأن القضية التى كانت مطروحة آنذاك، هى مسألة البعث بعد الموت، التى كان ينكرها الوثنيّون الرومانيون، واليهود الخاضعين لسيطرتهم كذلك .

والحكمة من جرّاء تنويمهم، ومن ثم بعثهم، ومن ثم العثور عليهم من قبل أهل المدينة، كانت لإثبات البعث بعد الموت، لدى أُناس ذلك العصر، من وثنيون ويهود، وهذا ما يُخبر عنه سبحانه وتعالى صراحة، فى قوله (وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ، لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ لاَ رَيْبَ فِيهَا، إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ... (٢١) أى أن الله أعثر أُناس تلك المدينة المجاورة للكهف، لكى يعلم أولئك الناس، بـ (أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ _بالبعث بعد الموت _ وَأَنَّ السَّاعَةَ لاَ رَيْبَ فِيهَا) . ومجىء قصة أصحاب الكهف فى القرآن، لم يكن فى الأصل، لطرح التساؤلات عن عددهم وعن مدة لبثهم، فهذا أمر لا طائل منه ولا فائدة فيه، فهو سبحانه ينهى عن ذلك بقوله (فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِراً وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً (٢٢ الكهف)، وقد قرّر سبحانه عددهم، بقوله (وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّى أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ

إلاَّ قَلِيلٌ (٢٢ الكهف)، إذ استثنى هذه العبارة من قوله (رجما بالغيب)، واقتصرها على الأقوال السابقة فقط . وأما مدة لبثهم فقد قرّرها فى قوله (وَلَبِثُوا فِى كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥)، وقوله (قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا، لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ (٢٦ الكهف)، تأكيد على أن ما أخبر عنه، من مدة لبثهم هو الحق، فهو أعلم بغيب الماضى والمستقبل، كما أكدّ على إخباره عن عدّتهم فيما سبق .

لا يُمكن إحصاء عدد السنين :

نخلص من ذلك، إلى أن المسألة المراد التركيز عليها، هى شىء آخر غير إحصاء عددهم أو مدة لبثهم، هى إشارات لدرس رائع فى الرياضيات الإلهية، ولتوضيح هذا الدرس، سنبدأ مع بداية القصة، حيث لخّص سبحانه القصة كاملة فى أربع آيات، فى قوله (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى ءَاذَانِهِمْ فِى الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢)، هذا الملخّص يقول : أن أصحاب الكهف فتية، لجئوا إلى الكهف، وطلبوا من ربهم أن يرحمهم، وأن يُهيئ لهم سبيلا للنجاة من قومهم، فأسلمهم سبحانه للنوم فى الكهف، عددا من السنين، ثم بعثهم، ثم علّل أمر نومهم ثم بعثهم، بأنه يريد أن يعلم، من أحصى ممن لم يُحصِ مدة لبثهم فى الكهف، من عدد السنين .

وتعليل النوم والبعث حقيقة، كنا قد أوضحناه سابقا، ولكن الملفت للنظر هنا هو تعليل البعث، فى بداية القصة على غير الوجه الحقيقى له، بقوله تعالى (لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا)، إذ لا يُعقل أن يكون المقصد الحقيقى، هو معرفة من أحصى مدة اللبث ممن لم يُحصِها . وفى الواقع، فإن الأمد (أى الفترة الزمنية) لا يُحصى إحصاءً، وإنما يتحصّل بالحساب . ولو فكّرت فى معنى الإحصاء رياضيا، لوجدت أن هذا الذى جاء فى الآيتين، غير منطقى من الناحية الرياضية العملية، فعملية الإحصاء والعدّ لا يمكن القيام بها، إلا إذا كان المراد إحصاءه أو عدّه، ماثل أمامك عيانا، كأن تحصى مجموعة من الأشياء . أما أن تحصى شيئا، لا تلمسه بيديك أو تراه بعينيك، فهذا أمر مستحيل . وأما بالنسبة للسنين، فلا يُمكن بأى حال من الأحوال إحصائها أيضا، لأنها ليست أشياء قابلة للعدّ، وإنما تتحصل معرفتها بالحساب، فهى نتيجة لجمع عدد من الشهور، والشهور نتيجة لعدد من الأيام، وعلى سبيل المثال، إذا أردت معرفة عمر شخص ما، أو عمر أُمّة ما، فما ستقوم به هو عملية طرح للتواريخ، لتحصيل عدد السنين، التى تُمثّل عمر ذلك الشخص، أو عمر تلك الأمة .

الإحصاء لمدة اللبث :

وبالتالى نستطيع القول بأن هذا التركيب اللغوى، جاء ليلفت انتباهنا إلى ما جاء فى هذه القصة، من إعجاز عددى لغوى، ولإحصاء أشياء ماثلة أمام أعيننا، ألا وهى كلمات القصة، التى توافق عدد السنين، التى لبثها أصحاب الكهف فى كهفهم، والتى إن قمت بإحصاءها، ستكون فى الحقيقة قمت بعدّ

مدة اللبث بالسنين، لأن عدد الكلمات يوافق عدد السنين، ويقول سبحانه تعقيبا على هذا الإعجاز، فيما يلى القصة من آيات (لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ)، أى ما كشفه من شأن هؤلاء الفتية من غيب الماضى، (أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ (٢٦) وكأنه حثّ على إمعان النظر، فيما بين يديك من إعجاز، وكشفه والإخبار عنه، ويؤكد سبحانه من خلال هذا التوافق العددى أن (لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ (٢٧ الكهف)، كما أكدّ أيضا فى سورتى الأنعام ويونس بقوله (وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ (٣٤)، (لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ (٦٤) ليتبين لك أن لا تبديل لمواقع الكلمات فيه، ولا زيادة فيه ولا نقص، وهذا ما تثبته هذه السورة، وسورة الإسراء أيضا، مصداقا لقوله تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩ الحجر)، وقوله (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢ النساء) .

يقول سبحانه (أحصى لما لبثوا أمدا)، نتبين من ذلك، أن المراد هو إجراء عملية إحصاء أو عدّ، وأن المراد إحصاؤه _حسب ظاهر النص القرآنى – هو مدة اللبث، وبما أن إحصاء مدة اللبث مُتعذّر، فالإحصاء سيكون لأشياء تُمثّل هذه المدّة، ألا وهى الكلمات الماثلة أمامنا، والتى تُشكل أحداث القصة، لنستطيع من خلال إحصائها، معرفة عدد سنين مدة اللبث، وكأنه سبحانه أراد أن يُعلمنا درسا رياضيا، نستطيع من خلال القواعد التى سنستنبطها منه، من استخراج عدد السنين لمدة لبث أُناس، قد سبق ذكرهم فى السورة التى سبقت سورة الكهف، وهذا يعنى أن مدة لبثهم لها نهاية بهلاكهم، والمشار إليها بوعد الآخرة .

طريقة العدّ فى سورة الكهف :

(أَمْ١ حَسِبْتَ٢ أَنَّ٣ أَصْحَابَ٤ الْكَهْفِ٥ ... ... وَلَبِثُوا٣٠٦ فِي٣٠٧ كَهْفِهِمْ٣٠٨ (ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا) ٣٠٩ (٢٥)

تبدأ القصة من الآية (٩)، بعبارة (أم حسبت) وتنتهى فى الآية (٢٥)، بعبارة (ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا) . نلاحظ أن كلمة (كهفهم) تحمل العدد (٣٠٨)، وأن العدد الذى يلى العدد (٣٠٨)، هو (٣٠٩)، وبدلا من أن ينتهى العدّ عند الكلمة، التى تلى كلمة (كهفهم) مباشرة، بقولنا : ثلاثمائة وتسعة، جاء سبحانه بعبارة، تحكى العدد نفسه بالكلمات، (ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا)، لتحمل العبارة كاملة، العدد (٣٠٩) .

وقوله سبحانه (ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا)، وعدم قوله (تسع وثلاثمائة)، جاءت ليُعلّمنا قاعدة حسابية، لحساب الفرق بين السنين الشمسية والسنين القمرية، بإضافة ٣ سنوات لكل ١٠٠ شمسية، لنحصل على ما يُعادلها بالقمرية، حيث أن كل (١٠٠) سنة شمسية، تعادل (١٠٣) سنوات قمرية تقريبا . ومفاد هذه العبارة أنهم لبثوا (٣٠٠) سنة شمسية، و (٣٠٩) سنة قمرية، والأهم من ذلك أن عدد الكلمات جاء متفقا، مع مدة لبثهم بالسنين القمرية، أى أن كل كلمة مثّلت سنة قمرية لا شمسية . وبناء على ذلك، وعند استخدام هذه الطريقة، فى سورة الإسراء سنتعامل، مع السنين القمرية .

قواعد الإحصاء فى سورة الكهف :

١ - الإحصاء للكلمات، إذ لا يُمكن إحصاء السنين .

٢ - الكلمة لغة، هى التى تتكون من حرفين فما فوق .

٣ - بداية العدّ كانت من بداية قصة أصحاب الكهف .

٤ - قصة أصحاب الكهف سبقتها مقدمة، تكوّنت من ٨ آيات . وعملية العدّ لم تشملها .

٥ - أن بعض الآيات التى وردت ضمن القصة، دخلت كلماتها فى العدّ، مع أن علاقتها بالقصة ليست ظاهرة، كالآيات (٢٣، ٢٤) .

٦ - أن نهاية العدّ كان بانتهاء القصة .

٧ - أن عدد الكلمات، توافق مع عدد السنين، التى لبثوها فى الكهف، إذ أن كل كلمة تمثل سنة .

٨ - أن كل كلمة، تمثّل سنة قمرية، ذلك لأن نتيجة العدّ كانت ٣٠٩ كلمات، قد توافقت مع مدة لبثهم بالسنين القمرية .

قابلية هذا المثال للتطبيق على سورة الإسراء :

قال تعالى (فَضَرَبْنَا عَلَى ءَاذَانِهِمْ فِى الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢) لو أمعنت النظر فيما تحته،

لوجدت أن الظاهر يقول، أن بعثهم كان لأن الله سبحانه وتعالى، أراد أن يعلم أى الحزبين أحصى ! أحصى ماذا ؟ أحصى مدة ما لبثوا فى الكهف من عدد السنين . أى أن المراد من الإحصاء هو معرفة عدد السنين . فى المقابل نجد فى الآية (١٢) من سورة الإسراء عبارة تقول (ولتعلموا عدد السنين والحساب)، للإشارة إلى أن السورة، تحمل بين ثناياها معرفة لعدد سنين، تتحصل بالعدّ والحساب، تخصّ أُناس سبق ذكرهم فيما ورد من آيات، سبقت هذه العبّارة .

وللفت الانتباه إلى أن الإحصاء متعلق بمدة اللبث، تكرّر ذكر مشتقات هذه الكلمة (٦) مرات فى سورة الكهف، وهى (لَبِثُوا، لَبِثْتُمْ، لَبِثْنَا، لَبِثْتُمْ، وَلَبِثُوا، لَبِثُوا) فى الآيات (١٢، ١٩، ٢٥، ٢٦) . وفى المقابل نجد أن مشتقات هذه الكلمة، تكرّرت مرتين فى سورة الإسراء، فى قوله سبحانه (وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلًا (٥٢) وقوله (وَإِذًا لاَ يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلاَّ قَلِيلًا (٧٦)، يُقال أن المقصودين فى هاتين الآيتين هم مشركى قريش حصرا، وهذا القول غير صريح . ولو أنك تتبعت النص منذ البداية، لوجدت أن القول الأول قيل لمنكرى البعث، وعلى رأس القائمة فى إنكار البعث هم اليهود .

ولو أنك تتبعت النص من قوله تعالى (وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ... وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ، لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا، وَإِذًا لاَ يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلاَّ قَلِيلًا (٧٦)، لوجدت أن القول الثانى قيل فى اليهود حصرا، حيث تؤكد معظم الروايات أن هذه الآيات مدنية، ولو تمعنّت فى قوله تعالى (وإن كادوا ليفتنونك) وتساءلت عمن له القدرة، على فتنة الرسول عليه

الصلاة والسلام، أهم أهل الكتاب أم عبدة الأصنام ! ولو تمعنّت فى قوله تعالى (وإن كادوا ليستفزّونك من الأرض ليُخرجوك منها) وتساءلت عمن حاولوا استفزاز الرسول عليه الصلاة والسلام، لإخراجه ولم يُكتب لهم النجاح ! لو قلت أنهم اليهود، عندما أرادوا منه أن يخرج معهم، من أرض الجزيرة ككل إلى الأرض المقدّسة، ليُعيد لهم ملكهم المنقرض، لكان ذلك أقرب إلى العقل والمنطق، وهناك روايات تؤكد ذلك . ولو قلت أنهم مشركى قريش، فقد جانبت الصواب، لأنهم قد استفزّوه بالفعل، وأخرجوه من بلدته حقيقة .

أوجه التشابه :

أولا : ذكر أحد مشتقات لفظ اللبث فى السورتين، وهو لفظ يأتى أينما ورد فى القرآن، للإشارة إلى مدة زمنية، (قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَام (٢٥٩ البقرة)، (فَلَبِثَ فِى السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢ يوسف)، (فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِى أَهْلِ مَدْيَنَ (٤٠ طه)، (إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْرًا (١٠٣ طه) (قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢ المؤمنون)، (فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا (١٤ العنكبوت) .

ثانيا : ذكر لفظ يُشير إلى الإحصاء أو العدّ فى السورتين، (سِنِينَ عَدَدًا ... أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا) فى الكهف، (وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالحِسَابَ) فى الإسراء، بإضافة لفظ الحساب .

سورة الإسراء :

ما سنقوم بإحصائه هو الكلمات، فى قصة المرتين ووعديهما، والتركيز فى المجمل - كما سبق وأشرنا فى فصل التفسير - كان على المرة الثانية ووعدها . وهذه الكلمات التى سنقوم بعدّها أو بإحصائها، تمثل مدة لُبث اليهود بالسنين القمرية .

جاء فى بداية سورة الإسراء، مقدّمة تمهيدية مكونة من ثلاث آيات، ومن ثم تبدأ رواية القصة من الآية (٤)، بقوله تعالى (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤)، وتنتهى فى الآية (١٠٤)، بقوله تعالى (وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا (١٠٤) . وإذا قمت بإحصاء الكلمات من عبارة (وَقَضَيْنَا١ إِلَى٢ بَنِي٣ إِسْرَائِيلَ٤... (٤)، حتى تصل إلى عبارة (جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا (١٠٤)، ستجد أن كلمة (لفيفا) تحمل العدد ١٤٢٢، وهو عدد كلمات القصة، وهو مما خالفنا به الأخ بسام جرّار، الذى اعتبر بداية القصة من الآية الثانية .

(ملاحظة : لو قمت بعدّ كلمات السورة، من خلال العدّ التسلسلى العادى، ستخطئ مرارا وتكرارا، فالأصوب والأسهل هو استخدام الحساب التراكمى، بحيث تعدّ كلمات كل آية بشكل منفرد، ومن ثم تقوم بجمع كل عشر مع بعضها، ومن ثم تقوم بجمع الناتج الكلى . وإن كنت تملك جهاز حاسوب، ستكون عملية غاية فى السهولة، فما عليك إلا أن تنقل نص سورة الإسراء،

من أحد برامج القرآن، كما هو مرسوم بالمصحف، واستثناء أرقام الآيات، أو إلصاقها بالكلمة التى تسبقها، ومن ثم تظليل نقطة البداية حتى نقطة النهاية، ومن ثم طلب أمر (عدد الكلمات) من قائمة (أدوات)، لتظهر لك النتيجة على الفور) .

هذا العدد الذى تحصّلنا عليه، هو عدد من السنين القمرية، التى ربما تُشير إلى نهاية مدة لبث بنى إسرائيل، فى الأرض المذكورة بداية السورة، أى أن نهاية هذا اللبث، ستكون بعد ١٤٢٢ سنة قمرية، ومن هنا تكون نقطة النهاية معلومة، بينما نقطة البداية مجهولة .

فهل ستكون نقطة البداية هى حادثة الإسراء والمعراج، أم هو وقت نزول سورة الإسراء، أم حادثة الهجرة النبوية نفسها، التى اتّخذت اصطلاحا كنقطة بداية للتقويم الهجرى، الله أعلم !؟

حيث ورد فى كتاب (الكامل فى التاريخ) للشيبانى، ما نصه : " والصحيح المشهور أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، أمر بوضع التاريخ، وسبب ذلك أن أبا موسى الأشعرى، كتب إلى عمر، أنه يأتينا منك، كتب ليس لها تاريخ، فجمع عمر الناس للمشورة، فقال بعضهم : أرِّخ بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم، وقال بعضهم : بمهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمر : بل نؤرخ بمهاجرة رسول الله، فإن مهاجرته فرق بين الحق والباطل، قاله الشعبى " .

اختبار العدد ١٤٢٢، على فرض أنه يمثّل السنة الهجرية ١٤٢٢ :

آخـر أيام السنـة الهـجـرية ١٤٢٢، هو ٢٩ - ذو الحـجّـة، وذو الحـجّـة هو الشهر الثانى عشر من السنة الهجرية . وقامت دولة إسرائيل بتاريخ ١٥ / ٥ / ١٩٤٨م، ويقـابل هذا التـاريخ بالهـجـرى ٦ / رجب / ١٣٦٧ هـ، ورجـب هو الشهر السـابع من السنـة الهـجرية . ولحسـاب أطول مـدة ممكنة، لبقـاء دولة إسرائيل على قيد الحياة، سنقوم بطرح التاريخ الثانى من الأول :

٢٩ / ١٢ / ١٤٢٢ هـ - ٦ / ٧ / ١٣٦٧ هـ = ٢٣ يوم، و٥ أشـهر و٥٥ سنة قمرية

أى سـتكون نهاية الدولة اليهودية فى بحـر السنة (السادسة والخمسين) من عمرها .

اختيار العدد (٥٦) :

- بما أن قصـة وعدى الأولى والآخرة، بدأت بعبـارة (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ ... (٤) وإذا فـرضنا أنهـا، تمثّل بداية قـيـام دولة إسـرائيل، فـمـا هى العبـارة التى تُشيـر إلى نهـايتهـا، ونفـاذ وعـد الآخـرة فيـهـا ؟ بلا شك سـتكون الإجـابة هـى عبـارة (... وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ ... (٧)، إذ أن مـا جـاء بعـدهـا، هـى عبارات للتعقيب فقط . وإذا قمت بإحصـاء الكلمات من عبارة (وَقَضَيْنَا١ إِلَى٢ بَنِى٣ إِسْرَائِيلَ٤... (٤)، حتى تصل إلى عبـارة (وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ ... (٧) سـتـجـد أن كلمـة (المسـجـد) تحـمل العـدد (٥٦)، وهو نفس العـدد الذى تحصّلنا عليه فى الحسبة السـابقة .

- يُعاد ذكر بنى إسرائيل مرة أخرى، فى نهاية السورة، فى قوله تعالى (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْئَلْ بَنِى إِسْرَائِيلَ ... (١٠١)، وينتهى ذكرهم بالأمر الآخر الذى سيتحقّق بمجىء وعد الآخرة، وهو مجيئهم من الشتات، فى قوله تعالى (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا (١٠٤) . وإذا قمت بإحصاء الكلمات، منذ بداية ذكرهم وذكر وعد الآخرة للمرة الثانية بعبارة (وَلَقَدْ١ آتَيْنَا٢ مُوسى٣ ... (١٠١) حتى تصل إلى عبارة (... جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا (١٠٤)، ستجد أن كلمة (لفيفا) أيضا، تحمل العدد (٥٦) .

اختبار العدد ٥٦ من خلال العدّ والحساب :

والآن نعود إلى قوله تعالى (وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلًا (٥٢)، وقوله (وَإِذًا لاَ يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلاَّ قَلِيلًا (٧٦)، حيث ذُكر لفظ اللبث . وكما قلنا فيما سبق، أن المقصود باللبث، فى العبارتين هو لبث اليهود . وهذا اللبث منذ بداية دولتهم وحتى نهايتها، تبين لنا أنه لا يتجاوز ٥٦ سنة، وهو موصوف بالقليل :

- إذا قمت بإحصاء ٥٦ كلمة، من حيث الكلمة التى تلى كلمة قليلا مباشرة، فى قوله تعالى (وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلًا (٥٢) وَقُلْ١ لِعِبَادِى٢ ... (٥٣) وتوقفت عند الكلمة التى تحمل العدد (٥٦)، ستجد أنك توقفت فى نهاية العبارة (فلا يملكون كشف الضرّ عنكم)، فى الآية (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ، فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ٥٤ الضُّرِّ٥٥ عَنكُمْ٥٦، وَلاَ تَحْوِيلًا (٥٦) ، والذين سيقع بهم الضُرّ أى الأذى والعذاب الدنيوى، عند مجىء وعد الآخرة هم اليهود . ولو نظرت إلى نهاية الآية، التى تسبق هذه الآية مباشرة، ستجد

قوله تعالى (وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (٥٥) وداود عليه السلام هو مؤسّس مملكتهم الأولى، وكأن ذكره جاء للإشارة إليهم . ولو قرأت نص الآية كاملا، ستجد المخاطبين، كانوا قد اتّخذوا أولياء ووكلاء من دون الله، ويؤكد سبحانه أن هؤلاء الأولياء والوكلاء، لا يملكون إزالة الأذى أو تحويله عنهم، حال وقوعه بهم .

ولو كنت دقيق الملاحظة، ستكتشف أن الآية التى توقف العدّ فيها عند العدد ٥٦، على عبارة (فلا يملكون كشف الضرّ عنكم)، هى الآية التى تحمل العدد (٥٦) أيضا، وهذه الآية تقع فى منتصف السورة تماماً . إذ لو أنك قمت بقسمة عدد آيات السورة (١١١) على (٢) ستحصل على (٥٥,٥)، وهى تقريبا نفس الحسبة التى خرجنا بها سابقا، لتُشير إلى أن زوال دولتهم، سيكون فى بحر السنة السادسة والخمسين من عمر دولتهم .

– وإذا قمت بإحصاء ٥٦ كلمة، من حيث الكلمة التى تلى كلمة قليلا مباشرة، فى قوله تعالى (وَإِذًا لاَ يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلاَّ قَلِيلًا (٧٦) سُنَّةَ١ مَنْ٢ قَدْ٣ أَرْسَلْنَا٤ ... (٧٧)، وتوقفت عند الكلمة التى تحمل العدد (٥٦)، ستجد أنك توقفت فى نهاية العبارة (جاء الحقّ وزهق الباطل)، فى الآية (وَقُلْ جَاءَ٥٢ الحَقُّ٥٤ وَزَهَقَ٥٥ الْبَاطِلُ٥٦، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١)، ومجىء الحقّ هو مجىء الوعد (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا (٩٨ الكهف)، وزَهق الباطل هو بلا شك نفاذ وعد الآخرة، بزوال دولة الإفساد وهلاك أهلها .

التأريخ لقيام دولة إسرائيل :

(... فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ : ... (٧) ... وَقُلْنَا ... لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ ... فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ : جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا (١٠٤) .

تكرار ذكر بنى إسرائيل فى بداية السورة ونهايتها، هو أمر ملفت للنظر، وتكرار ذكر وعد الآخرة فى بدايتها ونهايتها كذلك، هو أمر آخر ملفت للنظر أيضا، وأثناء محاولاتى المتكرّرة للربط العددى، بين عبارتى (فإذا جاء وعد الآخرة) فى الآية (٧) والآية (١٠٤) .

قمت بعدّ الكلمات من قوله تعالى (فَإِذَا١ جَاءَ٢ وَعْدُ٣ الْآخِرَةِ٤ ... (٧) فى بداية السورة، إلى ما قبل عبارة (فإذا جاء وعد الآخرة (١٠٤) فى نهاية السورة، وتوقفت عند عبارة (اسكنوا الأرض)، فى قوله (وَقُلْنَا ... لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا١٣٦٦ الْأَرْضَ١٣٦٧ ... (١٠٤) . فوجدت أننى قد توقفت على العدد (١٣٦٧)، وهذا العدد، هو موعد قيام دولة إسرائيل بالتقويم الهجرى، وهو موعد استيلائهم الفعلى على أرض فلسطين، وبدء استيطانهم فيها، وتجمّعهم من شتى بقاع الأرض .

وكأن واقع الحال، يُخبر بأنه فى عام ١٣٦٧ هـ، سيأذن الله لهم بالسكن فى الأرض المقدّسة واستيطانها، وإقامة علوهم الثانى والأخير فيها .

مجموع كلمات السورة يحمل فى ثناياه العددين ٥٦ و١٤٢٢ :

عدد كلمات القصة من بدايتها حتى نهايتها هو (١٤٢٢) كلمة .

عدد كلمات المقدمة بدءا من قوله تعالى (سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى ... (١) إلى قوله تعالى (... كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣)،

هو (٤٢) كلمة .

عدد كلمات الخاتمة، بدءا من قوله تعالى (وَبِالحَقِّ أَنزَلْنَاهُ ... (١٠٥) إلى قوله تعالى (... وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (١١١)،

هو (٩٢) كلمة .

وبجمع النواتج الثلاثة، نحصل على عدد كلمات السورة كاملة :

٤٢ + ١٤٢٢ + ٩٢ = ١٥٥٦ كلمة

والآن تمعّن فى العدد الكلى لكلمات السورة، فما الذى يقوله هذا العدد ؟ لو فصلت خانتىّ الآحاد والعشرات، عن خانتىّ المئات والألوف، ستحصل على العددين (٥٦) و (١٥)، والعدد الأول معلوم، والعدد الثانى يُعبّر عن القرن الخامس عشر الهجرى، الذى نعيشه الآن .

كما أن مجموع أرقام هذا العدد، يُمثّل ترتيب سورة الإسراء فى القرآن : ٦ + ٥ + ٥ + ١ = ١٧

والملفت للنظر أيضا أن عدد كلمات عبارة (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ) هو ثمانية كلمات، وأن عدد كلمات عبارة (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا) هو سبعة كلمات .

حاصل ضرب العددين هو : ٨ - ٧ = ٥٦

وحاصل جمع العددين هو : ٨ + ٧ = ١٥

ومجموع الناتجين، هو : ٥٦ + ١٥ = ٧١، وهذا العدد ستوضح أمره فيما يلى .

تحديد الفترة الزمنية :

بعد انقضاء الموعد، الذى كنا قد رجحناه فى الإصدارات السابقة، وبعد العودة لسورة الإسراء، والتفكير مليا فى أمر العدد ١٤٤٢، تبين لنا أن هذا العدد ارتبط بعبارة (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً (١٠٤)، مما يدفعنا للاعتقاد بأن ارتباط هذه العبارة بهذا العدد، يشير إلى اكتمال مجىء بنى إسرائيل من الشتات، بانقضاء سنة ١٤٢٢ هـ، وليس موعدا لنهايتها، وأن الموعد الأكثر احتمالا، هو بحر السنة ٥٦ من عمرها، والتى بقى منها الآن هو النصف الثانى فقط .

وبعد التدقيق فى أمر العدد ٥٦، تبين لنا أن سورة الإسراء، تُظهر هذا العدد أكثر من العدد ١٤٢٢، وبصورة ملفتة للنظر، وهو ما لم نعتمد عليه بشكل كلى، لتحديد أقصى موعد محتمل لنهاية إسرائيل .

وبذلك تكون الفترة الزمنية المحتملة لنهاية الدولة اليهودية، هى الفترة التى تمتد ما بين، أول يوم حتى آخر يوم، من السنة ٥٦ من عمرها :
[6/ رجب / ١٤٢٢ هـ - ٥ / رجب / ١٤٢٣ هـ]

ويقابلها بالميلادى : (٢٠٠١/٩/٢٣م) - ١٢ / ٩ / ٢٠٠٢م

وإذا ثبت خطأ هذا الاحتمال، ولم يتحقق وعد الآخرة فى بنى إسرائيل فى الموعد المحدد، فلن يكون هناك احتمالات جديدة، لعدم وجود أية دلائل أخرى، توحى بأرقام غير التى تحصّلنا عليها سابقا، ونود أن ننبه الأخوة القرّاء، بأن إصابتنا فى هذا الموعد، فيما لو حصلت، فذلك لا يعنى بالضرورة إصابتنا، فى المواعيد التى تليها ... والتصديق بهذه مسألة من عدمها، يعود لقناعة القارئ الشخصية .

ونكرّر ما ختمنا به مقدمة كتابنا، وإن أخطأنا فمن أنفسنا، وإن أصبنا فمن الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والله ولى التوفيق .

الموعد المتوقع لنهاية الولايات المتحدّة الأمريكية :

قال تعالى (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلاَ تَحْوِيلًا (٥٦) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧) وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا، قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا، كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٥٨ الإسراء)

إذا كانت الآية (٥٦)، تتحدث عن نهاية دولة إسرائيل، فالآية (٥٨) تتحدث عن قرى - ظالمة بلا شك - سيتم إهلاكها، أو إنزال العذاب الشديد بها، قبل يوم القيامة، ولم يبق الكثير من الوقت، فدُول هذا العصر، هى

القرى الأخيرة قبل يوم القيامة، وتكاد لا تجد فيها قرية غير ظالمة، وأكثر القرى المعاصرة ظلما هى أمريكا .

وإذا كان رقم الآية (٥٦)، يُعبّر عن موعد هلاك إسرائيل، فمن المحتمل أن رقم الآية (٥٨) يُشير إلى موعد هلاك أمريكا، أى بعد زوال إسرائيل بسنتين قمريتين، فى السنة الثامنة والخمسون، من قيام دولة إسرائيل، وهى تُقابل، سنة ١٤٢٤ هـ تقريبا .

لقد بدأ يوم القيامة، بقيام دولة إسرائيل، بل منذ علا اليهود فى الأرض، والناس فى غفلة من أمرهم :

إن لم تُصدّق ذلك، فتفكّر معى، بتأن وتروّى، وتوقف عند كل مقطع، وكل عبارة، فى قوله تعالى (إِذْ قَالَ اللَّهُ، يَعِيسَى إِنِّى مُتَوَفِّيكَ، وَرَافِعُكَ إِلَىَّ، وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ، فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ، فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ، فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٥٥ آل عمران) .

يقول سبحانه وتعالى، فى معرض خطابه لعيسى عليه السلام، (وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا)، والذين كفروا بعيسى وطهّره الله من أقوالهم وأفعالهم، هم اليهود، (وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ) والذين اتبعوه هم النصارى إجمالا، بغض النظر عن صحة معتقدهم وصدق التزامهم بتعاليمه، (فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا) والفوقية تعنى العلو والاستعلاء، والذين كفروا هم اليهود، (إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) واليوم فى الميقات السماوى، يساوى ألف سنة بالميقات الأرضى،

وهذا اليوم، هو الذى سيقوم الناس فيه من قبورهم، ولا ندرى فيما كانت الناس، ستقوم فى أوله، أم فى وسطه، أم فى آخره .

ومفاد الآية أعلاه، أن الفوقية ستكون للنصارى على اليهود، إلى يوم القيامة، بمعنى أن فوقية النصارى على اليهود، لها منتهى، وقد حدّدته هذه الآية بمجىء يوم القيامة، وأن تحوّل هذه الحالة إلى العكس تماما، أى أصبحت الفوقية لليهود على النصارى، فهى إيذان ببدء يوم القيامة بالميقات السماوى .

ولو تتبعنا التاريخ اليهودى، لوجدنا أن الاضطهاد النصرانى لليهود، بدأ منذ اعتناق الرومان للنصرانية، واتخاذها كدين رسمى للإمبراطورية الرومانية، واستمر حتى بدايات القرن الماضى، وزال كلية بعد الحرب العالمية الثانية، وبعد قيام الدولة اليهودية فى فلسطين، حيث انقلب الحال، فأصبحت الفوقية لليهود على النصارى، وبدأ عصر الاضطهاد اليهودى للنصارى وغيرهم، فرئيس الولايات المتحدة بعظمته، لا يملك من أمره، إلا السمع والطاعة لأسياده اليهود .

الموعد المتوقع لعودة عيسى عليه السلام، والقضاء على الدجال وأتباعه اليهود :

عندما قمنا بعدّ الكلمات، من عبارة (وَقَضَيْنَا١ إِلَى٢ بَنِى٣ إِسْرَائِيلَ٤... (٤)، حتى تصل إلى عبارة (وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ ... (٧) وجدنا أن كلمة (المسجد) تحمل العدد (٥٦)، وهى السنة التى ستكون فيها نهاية إسرائيل .

فلنكمل العدّ حتى نصل لعبارة (... وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا)، التى تُخبر عن عودتهم للإفساد، وعودة الله عليهم بالعقاب، على يد عيسى عليه السلام، ومن معه من المؤمنين، ستجد أن كلمة (عدنا) تحمل العدد (٧١)، وهى تُمثّل السنة الواحدة والسبعون، من قيام دولتهم، وهى تقابل سنة ١٤٣٧ هـ تقريبا .

ومجموع العدد (٧١)، ومقلوبه (١٧) الذى يُمثل ترتيب السورة هو : ٧١ + ١٧ = ٨٨

والناتج (٨٨) هو رقم الآية، التى تحدى سبحانه فيها الجن والإنس، على أن يأتوا بمثل هذا القرآن .

الموعد المتوقع لظهور المهدى :

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (ثُمَّ يَخْرُجُ فِى آخِرِ أُمَّتِى الْمَهْدِيُّ، ...، يَعِيشُ سَبْعًا أَوْ ثَمَانِياً، يَعْنِى حِجَجاً) رواه الحاكم وصحّحه الألبانى، وأخرجه الترمذى (... إِنْ قُصِرَ فَسَبْعٌ وَإِلاَّ فَتِسْعٌ)، وأحمد (... يَمْلِكُ سَبْعًا أَوْ تِسْعًا ...) و (... خَمْسًا أَوْ سَبْعًا أَوْ تِسْعًا)، وأبو داود (... يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ)، وابن ماجه (إِنْ قُصِرَ فَسَبْعٌ وَإِلاَّ فَتِسْعٌ ...) كلّهم عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ .

ومن المرجّح لدى أن خروج المهدى، سيكون قبل خروج الدجال، وستنتهى خلافته، بنزول عيسى عليه السلام وتسليمها له، ومتوسط مدة خلافته، إذا أخذنا بعين الاعتبار، اختلاف الروايات، هو سبع سنوات، فإن صحّ هذا

التقدير، نستطيع حساب موعد خروجه بطرح (٧) سنوات، من الموعد المتوقع لنزول عيسى عليه السلام (١٤٢٧) :

١٤٢٧ - ٧ = ١٤٢٠

قال تعالى

(قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ، عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْءَانِ، لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا. وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ، فِي هَذَا القُرْءَانِ، مِنْ كُلِّ مَثَلٍ، فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا). (الإسراء: ٨٨ ـ ٨٩)

الفصل الخامس
الدخان ومعركة هرمجدون

الدخان ومعركة هرمجدون

تبدأ سورة الدخان بتعظيم شأن القرآن الكريم، وتعظيم شأن الليلة التى أُنزل فيها، وتركّز السورة، على الإنذار دون البشرى، حيث قال سبحانه فى إرسال محمد عليه الصلاة والسلام (يَأَيُّهَا النَّبِىُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥ الأحزاب) . ويؤكد سبحانه أنه أرسله، منذرا للبشر من قبل أن يحل بهم العقاب، رحمة منه بعباده . والعقاب الذى تأتى على خبره الآيات وتحذّر منه ، هو البطشة الكبرى، التى لم تُحدّد ماهيتها هنا، ونذير هذه البطشة، الذى سيسبقها بقليل، هو الدخان، فليرتقبه الناس، فإن ظهر وعاينوه فليعتبروا، وليحذروا، وليعودوا عما هم عليهم من الشك والتشكيك فى أمر ربهم، واللعب فى أمر دينهم، والطعن فى رسولهم الكريم، الذى بُعث إليهم بشيرا ونذيرا، فإن لم يفعلوا ولن يفعلوا، فليرتقبوا البطشة الكبرى . وقد ظهر الدخان الموصوف فى هذه السورة، فى عاصمة أحد الأقطار العربية، فاقرأ معنا هذا الفصل والفصول التى تليه، لتعرف كيف فُسّرت هذه النبوءة على أرض الواقع، ولتعرف من هم الموعودين بالبطشة الكبرى قريبا، بعد إصرارهم على ما هم عليه، من الكفر والفسوق والعصيان، بالرغم من غشيان الدخان لهم، بنفس الصفة، التى أخبرت عنها الآيات .

تعريف بسورة الدخان :

" مكية، كما روى عن ابن عباس، وابن الزبير رضى الله تعالى عنهم، ووجه مناسبتها لما قبلها أنه عز وجل، ختم ما قبلها (الزخرف) بالوعيد والتهديد،

وافتتح هذه بشيء من الإنذار الشديد، وذكر سبحانه هنا، كقول الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون (فى نهاية سورة الزخرف)، وهنا نظيره، فيما حكى عن أخيه موسى عليهم الصلاة والسلام، بقوله تعالى فدعا ربه، أن هؤلاء قوم مجرمون، وورد بفضلها أخبار "، الألوسى .

أقوال بعض المفسّرين فى آيات سورة الدخان :

(حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (الدخان: ١ ـ ٦)

" يقول تعالى مخبرا عن القرآن العظيم، أنه أنزله فى ليلة مباركة، وهى ليلة القدر، أمر حكيم، أى محكم لا يُبدّل ولا يُغيّر، ولهذا قال جل جلاله، (أمرا من عندنا)، أى جميع ما يكون ويُقدّره الله تعالى وما يوحيه، فبأمره وإذنه وعلمه، (إنا كنا مرسلين) أى إلى الناس رسولا يتلوا عليهم آيات الله مبينات "، ابن كثير .

(رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٧) لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ) (الدخان: ٧ ـ ٨)

" أى إن كنتم من أهل الإيقان، علمتم كونه سبحانه رب السماوات والأرض، لأنه من أظهر اليقينيات دليلا، وفى هذا الشرك تنزيل إيقانهم، منزلة عدمه،

لظهور خلافه عليهم، وهو مراد من قال : إنه من باب تنزيل العالم منزلة الجاهل، لعدم جريه على موجب العلم، قيل : ولا يصح أن يقال : إنهم نزلوا منزلة الشاكين، لما كان قوله سبحانه بعد : بل هم فى شك، ولا أدرى بأسا فى أن يقال : إنهم نزلوا أولا كذلك، ثم سجّل عليهم بالشك، لأنهم وأن أقرّوا بأنه عز وجل، رب السماوات والأرض، لم ينفكّوا عن الشكّ لإلحادهم فى صفاته، وإشراكهم به تعالى شأنه "، الألوسى .

(بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ).

" بل هؤلاء المشركون، (فى شك يلعبون) أى قد جاءهم الحق اليقين، وهم يشكّون فيه، ويمترون ولا يصدقون به، ثم قال عز وجل متوعدا لهم ومهدّدا، (فارتقب يوم تأتى السماء) "، ابن كثير .

" (بل هم فى شك يلعبون) أى ليسوا على يقين، فيما يظهرونه من الإيمان والإقرار، فى قولهم إن الله خالقهم، وإنما يقولونه لتقليد آبائهم، من غير علم، فهم فى شكّ، وإن توهموا أنهم مؤمنون، فهم يلعبون فى دينهم، وقيل يلعبون، يضيفون إلى النبى صلى الله عليه وسلم الافتراء والاستهزاء، ويقال أعرض عن المواعظ لاعب، وهو كالصبى الذى يلعب، فيفعل ما لا يدرى عاقبته " القرطبى .

" لا يقولون ما يقولون، مما هو مطابق لنفى الأمر عن جدر وإذعان، بل يقولونه مخلوطا بهزء ولعب، وهذه الجملة خبر بعد خبر لهم، والالتفات عن خطابهم، لفرط عنادهم وعدم التفاتهم، والفاء فى قوله تعالى : فارتقب

لترتيب الارتقاب، أو الأمر به على ما قبلها، فإن كونهم فى شك يلعبون، مما يوجب ذلك، أى فانتظر لهم، يوم تأتى السماء بدخان مبين "، الألوسى .

(فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (١٠) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١)

" ارتقب معناه انتظر، يا محمد بهؤلاء الكفار، يوم تأتى السماء بدخان مبين، قاله قتادة . وقيل معناه احفظ قولهم هذا، لتشهد عليهم "، القرطبى .

" يعنى تعالى ذكره بقوله (فارتقب)، فانتظر، يا محمد بهؤلاء المشركين من قومك، الذين (هم فى شك يلعبون)، (يغشى الناس) يقول يغشى أبصارهم، من الجهد الذى يصيبهم، (هذا عذاب أليم) يعنى أنهم يقولون، مما نالهم من ذلك الكرب والجهد، هذا عذاب أليم) " الطبرى .

أقوال المفسّرين فى الدخان :

تفسير ابن مسعود : عَنْ مَسْرُوق، قَالَ : " بَيْنَمَا رَجُلٌ يُحَدِّثُ فِى كِنْدَةَ، فَقَالَ : يَجِيءُ دُخَانٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَأْخُذُ بِأَسْمَاعِ الْمُنَافِقِينَ وَأَبْصَارِهِمْ، يَأْخُذُ الْمُؤْمِنَ كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ، فَفَزِعْنَا . فَأَتَيْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ، وَكَانَ مُتَّكِئًا، فَغَضِبَ، فَجَلَسَ، فَقَالَ : مَنْ عَلِمَ فَلْيَقُلْ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ، فَلْيَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ، أَنْ يَقُولَ لِمَا لاَ يَعْلَمُ لاَ أَعْلَمُ، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) وَإِنَّ قُرَيْشًا أَبْطَئُوا عَنِ الإِسْلَامِ، فَدَعَا عَلَيْهِمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ أَعِنِّى عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ

كَسَبْعِ يُوسُفَ، فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَتَّى هَلَكُوا فِيهَا، وَأَكَلُوا الْمَيْتَةَ وَالْعِظَامَ، وَيَرَى الرَّجُلُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ، فَجَاءَهُ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ جِئْتَ تَأْمُرُنَا بِصِلَةِ الرَّحِمِ، وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا، فَادْعُ اللَّهَ (فَقَرَأَ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ - إِلَى قَوْلِهِ - عَائِدُونَ) أَفَيُكْشَفُ عَنْهُمْ عَذَابُ الآخِرَةِ، إِذَا جَاءَ ثُمَّ عَادُوا إِلَى كُفْرِهِمْ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى) يَوْمَ بَدْرٍ وَ (لِزَامًا) يَوْمَ بَدْرٍ (الم غُلِبَتِ الرُّومُ) إِلَى (سَيَغْلِبُونَ) وَالرُّومُ قَدْ مَضَى " . رواه البخارى وأخرجه مسلم والترمذى وأحمد .

رواية لابن مسعود : عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنَ مَسْعُودٍ، قَالَ : " مَضَى خَمْسٌ الدُّخَانُ وَالرُّومُ وَالْقَمَرُ وَالْبَطْشَةُ وَاللِّزَامُ " . رواه البخارى وأخرجه مسلم والترمذى وأحمد .

حديث حذيفة : عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ، قَالَ : اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا، وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ : (مَا تَذَاكَرُونَ ؟) قَالُوا : نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ : (إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ) رواه مسلم وأخرجه الترمذى وأبو داود وابن ماجه وأحمد .

قال ابن كثير " وقد وافق ابن مسعود، رضى الله عنه، على تفسير الآية

بهذا، وأن الدخان مضى، جماعة من السلف، كمجاهد وأبى العالية وإبراهيم النخعى، والضحاك وعطية العوفى وهو اختيار ابن جرير . وروى ابن جرير، عن ربعى بن حراش قال سمعت حذيفة بن اليمان، رضى الله عنه، يقول، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن أول الآيات الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام، ونار تخرج من قعر عدن أبين، تسوق الناس إلى المحشر، تقيل معهم إذا قالوا، والدخان، قال : حذيفة رضى الله عنه يا رسول الله : وما الدخان ؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : (فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين، يغشى الناس هذا عذاب أليم) يملأ ما بين المشرق والمغرب، يمكث أربعين يوما وليلة، أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكمة، وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران، يخرج من منخريه وأذنيه ودبره)، قال ابن جرير لو صحّ هذا الحديث لكان فاصلا، وإنما لم أشهد له بالصحة .

وقال ابن جرير أيضا : عن أبى مالك الأشعرى، رضى الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن ربكم أنذركم ثلاثا ؛ الدخان، يأخذ المؤمن كالزكمة، ويأخذ الكافر، فينفخ حتى يخرج من كل مسمع منه، والثانية الدابة، والثالثة الدجال) ورواه الطبرانى، عن هاشم بن مرثد عن محمد بن إسماعيل بن عياش به، وهذا إسناد جيد .

وروى ابن جرير : عن عبد الله بن أبى مليكة، قال : غدوت على ابن عباس رضى الله عنهما، ذات يوم، فقال : ما نمت الليلة حتى أصبحت ! قلت : لِمَ ؟ قال : قالوا طلع الكوكب ذو الذنب، فخشيت أن يكون الدخان قد طرق، فما

نمت حتى أصبحت) وهكذا رواه ابن أبى حاتم فذكره وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس رضى الله عنهما، حبر الأمة وترجمان القرآن، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين، رضى الله عنهم، مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرهما، التى أوردوها، مما فيه مقنع، ودلالة ظاهرة، على أن آلدخان، من الآيات المنتظرة، مع أنه ظاهر القرآن، قال الله تبارك وتعالى (فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين) أى بيّنٌ واضحٌ، يراه كل أحد، وعلى ما فسّر به ابن مسعود، رضى الله عنه، إنما هو خيال، رأوه فى أعينهم من شدة الجوع والجهد، وهكذا قوله تعالى (يغشى الناس)، أى يتغشاهم ويعميهم، ولو كان أمرا خياليا، يخصّ أهل مكة المشركين، لما قيل فيه يغشى الناس، وقوله تعالى (هذا عذاب أليم)، أى يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا " .

وقال القرطبى : " وفى الدخان أقوال ثلاثة ؛ الأول : أنه من أشراط الساعة، لم يجئ بعد، وأنه يمكث فى الأرض أربعين يوما، يملأ ما بين السماء والأرض، فأما المؤمن فيصيبه مثل الزكام، وأما الكافر والفاجر فيدخل فى أنوفهم، فيثقب مسامعهم، ويضيق أنفاسهم، وهو من آثار جهنم يوم القيامة، وممن قال إن الدخان لم يأت بعد، على وابن عباس وابن عمر وأبو هريرة وزيد بن على والحسن وابن أبى ملكية وغيرهم ؛ والثانى : أن الدخان، هو ما أصاب قريشا من الجوع، بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم، حتى كان الرجل يرى بين السماء والأرض دخانا، قاله ابن مسعود ؛ والثالث : إنه يوم فتح مكة لما حجبت السماء الغبرة، قاله عبد الرحمن الأعرج " .

وقال الألوسى : " أى يوم تأتى بجدب ومجاعة، فإن الجائع جدا، يرَ بينه وبين السماء، كهيئة الدخان، وقد فسّر أبو عبيدة الدخان به، والمراد باليوم مطلق الزمان، أى ارتقب وعد الله ذلك اليوم، وبالسماء جهة العلو، وإسناد الإتيان بذلك إليهما، من قبيل الإسناد إلى السبب، لأنه يحصل بعدم إمطاره، وتفسير الدخان بما فسرناه به، مروى عن قتادة وأبى العالية والنخعى، والضحاك ومجاهد ومقاتل، وهو اختيار الفرّاء والزجّاج، وقد روى بطرق كثيرة عن ابن مسعود رضى الله تعالى، وظاهره، يدلّك ما فى تاريخ ابن كثير، على أن القصة، كانت بمكة، فالآية مكية، وفى بعض الروايات، أن قصة أبى سفيان، كانت بعد الهجرة، فلعلها وقعت مرتين، وقد تقدّم ما يتعلق بذلك فى سورة المؤمنين، وقال على كرّم الله تعالى وجهه، وابن عمر وابن عباس وأبو سعيد الخدرى، وزيد بن على والحسن، أنه دخان يأتى من السماء، قبل يوم القيامة، يدخل فى أسماع الكفرة، حتى يكون رأس الواحد، كالرأس الحنيذ، ويعترى المؤمن كهيئة الزكام، فالدخان على ظاهره، والمعنى فارتقب يوم ظهور الدخان .

وحمل ما فى الآية، على ما يعم الدخانين، لا يخفى حاله . هذا والأظهر، حمل الدخان على ما روى عن ابن مسعود أولى، لأنه أنسب بالسياق، لما أنه فى كفار قريش، وبيان سوء حالهم . (يغشى الناس) أى يحيط بهم، والمراد بهم كفار قريش، ومن جعل الدخان، ما هو من أشراط الساعة، حمل (الناس)، على من أدركه ذلك الوقت، ومن جعل ذلك يوم القيامة، حمل الناس على العموم، والجملة (يغشى الناس) صفة أخرى للدخان، وقوله تعالى هذا

عذاب أليم، وقيل : يجوز أن يكون هذا عذاب أليم، إخبارا منه عز وجل، تهويلا للأمر، كما قال سبحانه وتعالى، فى قصة الذبيح، إن هذا لهو البلاء المبين " .

(رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ).

" أى يقول الكافرون، إذا عاينوا عذاب الله وعقابه، سائلين رفعه وكشفه عنهم، (ربنا اكشف عنا العذاب) " ابن كثير .

" وقوله (ربنا اكشف عنا العذاب) يعنى أن الكافرين الذين يصيبهم ذلك الجهد، يضرّعون إلى ربهم، بمسألتهم إياه كشف ذلك الجهد "، الطبرى .

" كما صرح به غير واحد من المفسرين، وعدُ منهم بالأيمان، إن كشفَ جلّ وعلا عنهم العذاب، فكأنهم قالوا : ربنا إن كشفت عنا العذاب آمنا، لكن عدلوا عنه "، الألوسى .

(أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ (١٣) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ) (الدخان: ١٣ ـ ١٤)

" يقول كيف لهم بالتذكر، وقد أرسلنا إليهم رسولا، بين الرسالة والنذارة، ومع هذا تولّوا عنه، وما وافقوه بل كذّبوه، وقالوا مُعلَّم مجنون " ابن كثير .

" قال ابن عباس : أى يتعظون، والله أبعدهم من الاتعاظ والتذكر، بعد توليهم عن محمد صلى الله عليه وسلم، وتكذيبهم إياه، (وقالوا مُعلَّم

مـجنون) أى علّمـه بشـر، أو علّمـه الكهنـة والشـيـاطين، ثم هو مـجنـون وليس برسول "، القرطبى .

" يقـول تعالى ذِكره، من أى وجه لهـؤلاء المشـركين التـذكّر، من بعـد نزول البـلاء بهم، وقد تولوا عن رسولنا، حين جاءهم مـدبرين عنه، لا يتذكـرون بما يتلى عليهم من كتابنا، ولا يتعظون بما يعظهم بـه من حُـججنا، ويقـولون إنما هو مجنون عُلّم هذا الكلام " الطبرى .

" (أنى لهم الذكرى) نفى صدقهم فى الوعد، وأن غرضهم إنما هو كشف العذاب والخلاص، أى كيف يتذكرون، أو من أين يتذكرون بذلك، ويفـون بما وعدوه من الأيمـان، عند كشف العذاب عنهم، وقد جاءهم رسـول مبـين، أى والحال، أنهم شاهدوا من دواعى التذكر وموجبات الاتعاظ، ما هو أعظم من ذلك فى إيجـابهم، حـيث جـاءهـم رسـول عظيم الشـأن، ظاهـر أمـر رسـالتـه بالآيات والمعجـزات، التى تخز لهـا صم الجبال، أو مظهـرا لهم مناهـج الحق، (ثم تولوا عنه) أى عن ذلك الرسول عليه الصلاة والسـلام، ولم يقل ومـجنون بالعطف لأن المقصود تعديد قبائحهم "، الألوسى .

(إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (١٥) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ (١٦)

" والاحتـمـال الثانى أن يكون المراد، إنا مؤخـرو العـذاب عنكم قليـلا، بعد انعقاد أسبابه، ووصوله إليكم، وأنتم مستمرون، فيما أنتم فيه من الطغيان والضلال، ولا يلزم من الكشف عنهم أن يكون باشرهم " ابن كثير .

(إنا كاشفوا العذاب) يعنى الضرّ النازل بهم، يقول تعالى ذكره، إنكم أيها المشركون، إن كشفت عنكم العذاب النازل بكم، والضرّ الحالّ بكم، ثم عدّتم فى كفركم ونقضتم عهدكم، الذى عاهدتم ربكم، انتقمت منكم، يوم أبطش بكم، بطشتى الكبرى، فى عاجل الدنيا، فأهلككم "، الطبرى .

" إنا كاشفوا العذاب قليلا، وعد أن يكشف عنهم ذلك العذاب قليلا، أى فى زمان قليل، ليعلم أنهم لا يفون بقولهم، بل يعودون إلى الكفر، بعد كشفه، قاله ابن مسعود . ومن قال، إن الدخان منتظر، قال، أشار بهذا إلى ما يكون، من الفرجة بين آية وآية، من آيات قيام الساعة، ثم من قضى عليه بالكفر، يستمر على كفره . ومن قال هذا فى القيامة، قال أى لو كشفنا عنكم العذاب لعدتهم إلى الكفر، وقيل، معنى إنكم عائدون إلينا، أى مبعوثون بعد الموت "، القرطبى .

" وقيل : المعنى وارتقب الدخان، وارتقب يوم نبطش، فحذف واو العطف، كما تقول : اتق النار، اتق العذاب، والبطشة الكبرى فى قول ابن مسعود، يوم بدر، وهو قول ابن عباس، وأبى بن كعب، ومجاهد والضحاك، وقيل : عذاب جهنم يوم القيامة، قاله الحسن وعكرمة وابن عباس أيضا، واختاره الزجاج "، القرطبى .

" أى إن كشفنا عنكم العذاب، كشفا قليلا، أو زمانا قليلا عدتم، والمراد على ما قيل، عائدون إلى الكفر، وأنت تعلم أن عودهم إليه، يقتضى إيمانهم، وقد مر أنهم لم يؤمنوا، وإنما وعدوا الإيمان، فإما أن يكون وعْدُهم مُنزلا،

مَنزلة إيمـانهم، أو المراد عـائدون إلى الثبـات، على الكفـر أو على الإقـرار والتـصـريح به . (يوم نبطش) يوم نسلّط القـتل عليـهم ونوسع الأخـذ منهم، وفى القـامـوس، بطش به، أخـذه بالعنف والسطوة، كـأبطشـه، والبطش، الأخـذ الشديد فى كل شىء "، الألوسى .

" فسر ذلك ابن مسعود رضى الله عنه، بيوم بدر، وهذا قول جماعة، ممن وافق ابن مسعود رضى الله عنه، على تفسيره الدخان بما تقدم، وروى أيضا، عن ابن عبـاس رضى الله عنهمـا، من زواية العـوفى عنـه، وعن أبى بن كـعب رضى الله عنه، وهو محتمل . والظاهـر أن ذلك يوم القيامة، وإن كان يوم بدر يوم بطشة . وروى ابن جـرير عن عكرمـة، قـال : قـال ابن عـبـاس رضـى الله عنهما : (قال ابن مسعود رضى الله عنه، البطشة الكبرى يوم بدر، وأنا أقول هى يوم القـيـامـة)، وهذا إسنـاد صـحيح عنه، وبه يقـول الحـسن البـصـرى وعكرمة، فى أصحّ الروايتين عنه، والله أعلم "، ابن كثير .

وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (١٧) أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ
اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٨) وَأَنْ لاَ تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي ءَاتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ
(١٩) وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ (٢٠) وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ
(٢١) فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلاَءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ (٢٢)

" يقول تعالى، ولقد اختبرنا قبل هؤلاء المشركين، قوم فرعون، وهم قبط مصر، وجاءهم رسول كريم، يعنى موسى كليمه، عليه الصلاة والسلام "، ابن كثير .

" (رسول كريم) أى مُكرم معظّم عند الله عز وجل، أو عند المؤمنين، أو عنده تعالى وعندهم، أو كريم فى نفسه متصف بالخصال الحميدة والصفات الجليلة حسبا ونسبا. وقال الراغب : الكرم إذا وصف به الإنسان، فهو اسم للأخلاق والأفعال المحمودة، التى تظهر منه، ولا يقال هو كريم، حتى يظهر ذلك منه "، الألوسى .

" (وإنى عذت بربى وربكم) أى التجأت إليه تعالى، وتوكلت عليه جل شأنه (أن ترجمون)، من أن ترجمونى، أن تؤذونى ضربا أو شتما، أو أن تقتلونى، وروى هذا عن قتادة وجماعة، قيل : لما قال : أن لا تعلوا على الله، توعّدوه بالقتل، فقال ذلك، وفى البحر أن هذا، كان قبل أن يخبره عز وجل بعجزهم عن رجمه بقوله، (وإن لم تؤمنوا لى فاعتزلون)، فكونوا بمعزل منى لا على ولا لى، ولا تتعرضوا لى بسوء، فليس ذلك جزاء، من يدعوكم إلى ما فيه فلاحكم، فدعا ربه بعد أن أصرّوا على تكذيبه عليه السلام، (أن هؤلاء قوم مجرمون) "، الألوسى .

" وفيه اختصار كأنه قيل : أن هؤلاء مجرمون، تناهى أمرهم فى الكفر، وأنت أعلم بهم، فافعل بهم ما يستحقونه، قيل : كان دعاؤه عليه السلام، اللهم عجّل لهم ما يستحقون بإجرامهم، وقيل : قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين، إلى قوله، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم، وإنما ذكر الله سبحانه السبب، الذى استوجبوا به الهلاك، ليُعلم منه دعاؤه والإجابة معا، وإن دعاءه على يأس من أيمانهم، وهذا من بليغ اختصارات الكتاب المعجز "، الألوسى .

(... وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ (٢٤) كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) ... كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ (٢٩)

" يقول تعالى ذكره، كم ترك فرعون وقومه من القبط، بعد مهلكهم، وتغريق الله إياهم، من بساتين وأشجار وعيون ومقام كريم، يقول وموضع كانوا يقومونه شريف كريم . وقوله (كذلك وأورثناها قوما آخرين) يقول تعالى ذكره، وأورثنا جناتهم وعيونهم وزروعهم ومقاماتهم، وما كانوا فيه من النعمة قوما آخرين، وقيل عُنىَ بالقوم الآخرين بنو إسرائيل "، الطبرى .

" (كذلك وأورثناها قوما آخرين) وهم بنو إسرائيل، كما تقدم، وقوله سبحانه وتعالى (فما بكت عليهم السماء والأرض) أى لم تكن لهم أعمال صالحة، تصعد فى أبواب السماء، فتبكى على فقدهم، ولا لهم فى الأرض، بقاع عبدوا الله تعالى فيها، فقدتهم، فلهذا استحقوا أن لا يُنظروا، ولا يُؤخروا، لكفرهم وإجرامهم وعتوهم وعنادهم "، ابن كثير .

" قال الزجاج : أى الأمر كذلك، فيوقف على كذلك، وقيل : إن الكاف فى موضع نصب، على تقدير نفعل فعلا كذلك، بمن نريد إهلاكه، وقال الكلبى : كذلك أفعل بمن عصانى، وقيل : كذلك كان أمرهم، فأهلكوا، وأورثناها قوما آخرين، يعنى بنى إسرائيل، ملّكهم الله تعالى أرض مصر، بعد أن كانوا فيها مستعبدين، فصاروا لها وارثين لوصول ذلك إليهم، كوصول الميراث ونظيره، وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها، الآية "،

القرطبي .

(... وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (٣٠) مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ (٣١) وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٢) وَءَاتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ (٣٣) ...

" يعنى ما كانت القبط، تفعل بهم بأمر فرعون، من قتل الأبناء، واستخدام النساء، واستعبادهم إياهم، وتكلفهم الأعمال الشاقة، وقيل : أى أنجيناهم من العذاب، ومن فرعون، إنه كان عاليا من المسرفين، ولقد اخترناهم يعنى بنى إسرائيل "، القرطبى .

" واختلف أهل التأويل، فى ذلك البلاء، فقال بعضهم ابتلاهم بنعمه عندهم، وقال آخرون، بل ابتلاهم بالرخاء والشدة، وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب، أن يقال إن الله أخبر، أنه آتى بنى إسرائيل من الآيات، ما فيه ابتلاؤهم واختبارهم، وقد يكون الابتلاء والاختبار بالرخاء، ويكون بالشدة، ولم يضع لنا دليلا، من خبر ولا عقل، أنه عنى بعض ذلك دون بعض، وقد كان الله اختبرهم، بالمعنيين كليهما جميعا "، الطبرى .

(... إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ (٣٤) إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ (٣٥) فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٦) أَهُمْ خَيْرٌ، أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، أَهْلَكْنَاهُمْ، إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٣٧) ...

" (إن هؤلاء)، كفار قريش، لأن الكلام فيهم، وذكر قصة فرعون وقومه،

استطرادى للدلالة على أنهم مثلهم، فى الإصرار على الضلالة، والإنذار على مثل ما حلّ بهم، وفى اسم الإشارة (هؤلاء) تحقير لهم (ليقولون) : (إن هى إلا موتتنا الأولى) أى ما العاقبة ونهاية الأمر، إلا الموتة الأولى المزيلة للحياة الأولى، (وما نحن بمنشرين) أى بمبعوثين بعدها "، الألوسى .

" (إن هؤلاء ليقولون، إن هى إلا موتتنا الأولى، وما نحن بمنشرين، فأتوا بآبآئنا، إن كنتم صادقين)، يقول تعالى ذكره، مخبرا عن قيل مشركى قريش، لنبى الله صلى الله عليه وسلم، إن هؤلاء المشركين من قومك، يا محمد، ليقولون إن هى إلا موتتنا الأولى، التى نموتها، وهى الموتة الأولى، وما نحن بمنشرين بعد مماتنا، ولا بمبعوثين، تكذيبا منهم بالبعث والثواب والعقاب "، الطبرى .

" (أهم خير أم قوم تبع، والذين من قبلهم أهلكناهم، إنهم كانوا مجرمين)، يقول تعالى ذكره، لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، أهؤلاء المشركون يا محمد من قومك خير، أم قوم تبع يعنى تبعا الحميرى، وكانت عائشة تقول : لا تسبوا تبعا فإنه كان رجلا صالحا . وقوله (والذين من قبلهم)، من الأمم الكافرة بربها، يقول فليس هؤلاء بخير من أولئك، فنصفح عنهم ولا نهلكهم، وهم بالله كافرون، كما كان الذين أهلكناهم، من الأمم من قبلهم كفارا، وقوله (إنهم كانوا مجرمين)، إنما أهلكناهم لإجرامهم وكفرهم بربهم "، الطبرى .

" عن عائشة قالت : كان تبع رجلا صالحا، ألا ترى أن الله تعالى ذم قومه ولم يذمه "، الألوسى .

" (أهم خير أم قوم تبع) هذا استفهام إنكار، أى إنهم مستحقون فى هذا القول العذاب، إذ ليسوا خيرا من قوم تبع، والأمم المهلكة، وإذا أهلكنا أولئك فكذا هؤلاء "، القرطبى .

" (والذين من قبلهم) أى قبل قوم تبع كعاد وثمود، أو قبل قريش فهو تعميم، بعد تخصيص، (أهلكناهم)، استئناف لبيان عاقبة أمرهم هدّد به كفار قريش، (إنهم كانوا مجرمين)، تعليل لإهلاكهم، أى أهلكناهم، بسبب كونهم مجرمين، فليحذر كفار قريشا "، الألوسى .

(فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥٨) فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ (٥٩))

" أى أنزلناه سهلا واضحا بينا جليا، بلسانك الذى هو أفصح اللغات، وأجلاها وأحلاها وأعلاها، (لعلهم يتذكرون) أى يتفهّمون ويعلمون، ثم لما كان مع هذا الوضوح والبيان، من الناس، من كَفرَ وخالفَ وعاندَ، قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم، مسليا له وواعدا له بالنصر، ومتوعدا لمن كذّبه بالعطب والهلاك، (فارتقب) أى انتظر، (إنهم مرتقبون) أى فسيعلمون لمن ستكون النصرة، والظفر وعلو الكلمة فى الدنيا والآخرة " ابن كثير .

" (فإنما يسرناه بلسانك، لعلهم يتذكرون، فارتقب إنهم مرتقبون) يقول تعالى ذكره، لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فإنما سهّلنا قراءة هذا القرآن، الذى أنزلناه إليك بلسانك، ليتذكر هؤلاء المشركون، الذين أرسلناك إليهم، بعِبرِه وحُججه، ويتعظوا بعظاته، ويتفكروا فى آياته، إذا أنت تتلوه

عليهم، فيُنيبوا إلى طاعة ربهم، ويذعنوا للحق عندما تبينهموه . وقوله (فارتقب إنهم مرتقبون) يقول تعالى ذكره، لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فانتظر أنت يا محمد الفتح من ربك، والنصر على هؤلاء المشركين بالله، من قومك من قريش، إنهم منتظرون، عند أنفسهم قهرك وغلبتك، بصدهم عما أتيتهم به من الحق، من أراد قبوله واتباعك عليه "، الطبرى .

" (فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون) أى كى يفهموه، ويتذكروا به ويعملوا بموجبه، (فارتقب)، أى وأن لم يتذكروا بما يحلّ بهم، وهو تعميم بعد تخصيص، بقوله تعالى (فارتقب يوم تأتى السماء ...حتى قوله ... إنهم مرتقبون) وقيل : معناه مرتقبون ما يحل بهم تهكما، وفى الآية من الوعد له، صلى الله تعالى عليه وسلم، ما لا يخفى "، الألوسى .

سورة الدخان تُنذر قوما من أمة الإسلام كفروا بعد إيمانهم

بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ (٩)

هذا الوصف لم يكن بحال من الأحوال، لمشركى قريش، فهؤلاء كذّبوا وكفروا بما جاء به، محمد عليه الصلاة والسلام، جملة وتفصيلا . والشكّ فى المعتقد عادة، يتأتّى بعد الإيمان، بوحى من شياطين الإنس والجنّ والهوى، مما يدفع الإنسان فى النهاية إلى الكفر . وأما اللعب، جاء بمعنى الإعراض عما ينفع والاستهزاء به، والانشغال بما لا ينفع، بل وبما يضرّ، وهى صفة يمتاز بها الصبية والأولاد الصغار، لصغر عقولهم، وقلة مداركهم، وضيق أفقهم، وعدم مقدرتهم، على أخذ العبرة والعظة .

أما هؤلاء القوم من أمة محمد، فهم فى شك من أمر الله، والشك هو انعدام اليقين، بمعنى أنهم غير موقنين، مما أخبر عنه فى كتابه المبين، الذى جاء به الرسول المبين، بلسان عربى مبين، من أمور الغيب، وعلى رأسها انعدام اليقين بربوبية وألوهية الله ووحدانيته وإنكار البعث، أى الشك بملكية الله للسماوات والأرض وما بينهما، وقدرته على تصريف الأمور، والشك بأمر البعث بعد الموت . لذلك فهم لا يتورعون، عن اتخاذ دينهم هزوا ولعبا، إذ لا بعث ولا حساب ولا عقاب يردعهم .

قال تعالى (يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا، لاَ تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا، مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ، وَاتَّقُوا اللَّهَ، إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٥٧ المائدة)، فالذين يوالون الذين اتخذوا دين الله هزوا ولعبا، من اليهود والنصارى والكفار إجمالا، وهم يُظهرون الإيمان ليسوا بمؤمنين، فما بالك بمن يتخذ دين الإسلام، هزوا ولعبا ويحاربه، وهو ينتسب إليه .

وقال تعالى (وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَ يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٧٠ الأنعام)، وقال (الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٥١ الأعراف) .

فهؤلاء القوم يتصفون بأمرين :

الأول: أنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر .

الثانى: أن شغلهم الشاغل هو الحياة الدنيا، وأنهم يتخذون أمور دينهم، مادة للهزء والسخرية واللهو .

فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (١٠) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١)

نلاحظ أن المفسرين اختلفوا على ثلاثة مواقف، فمنهم من وافق تفسير ابن مسعود، ومنهم من وافق تفسير ابن عباس، ومنهم من أخذ بالاحتمالين . وكلٌّ منهم أكمل تفسير السورة، على ما ارتأى من صوابية اعتقاده، بالنسبة لهذا الدخان . وأما من حيث زمن الوقوع، فالاحتمال الأول، يقول بأن الدخان والبطشة، قد مضيا فى مشركى قريش، والاحتمال الثانى يقول بأنه قبل يوم القيامة، والاحتمال الثالث يقول بأنه من أحداث يوم القيامة، وللفصل فى هذه الأقوال والمواقف، سنستنبط صفات هذا الدخان من الآيات نفسها، وصفات هؤلاء القوم وأفعالهم، فى نهاية الفصل، بمعزل عن الروايات والتفسيرات السابقة، فظاهر الآيات الكريمة، يدل على أن ما ورد فى الآيات، هو نبأ دخان سيظهر فى المستقبل، والأقدر على بيان أمره، هو من يعاصر ظهوره، بعد اكتمال معالمه، كما هى العادة، فى فهم وتفسير النبوءات المستقبلية .

رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (١٢)

وهذا هو دعاء المعْرضين عن ذكر الله، كما هى العادة، من المسرفين والمشركين والكفار، من الناس إجمالا، كلما مسّتهم الضراء والبأساء، سواء من أمة الإسلام أو من غيرها، كما فى قوله تعالى (وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢ يونس) .

ولاحظ ضمير المخاطب (كم)، والذى يعود على المخاطبين بالقرآن، فى قوله تعالى (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ، ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ، فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (٥٣) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٥٤ النحل)، وقوله (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِى الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا (٦٧ الإسراء) .

والأقرب والأظهر، بالنظر فى دعواهم تلك، وإقرارهم بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم من الإيمان، عند غشيان الدخان لهم، أن يكون هؤلاء من أمة محمد عليه الصلاة والسلام، فسقوا عن دينهم مع كونهم مسلمين، نفاقا على الأغلب، وشركهم فى الله جاء بعد الإيمان به . أما قريش فلم يكن هذا حالهم، وما كان ليصدر منها هذا الدعاء، فمنهم من أسلم، ومنهم أصرّ على كفره، أما النفاق فلم يعرفوه، ولم يكن لهم فيه مصلحة، ومن المعروف أن النفاق، ظهر بعد انتشار الإسلام، وهو ما حصل فى المدينة المنورة، لعدة غايات وأهمها وأخطرها، هو سعيهم لمحاربة تعاليم الدين وهدم معالمه، داخل

المجتمعات الإسلامية، وسورة الدخان مكية، وحال هؤلاء، كحال من قال فيهم سبحانه، فى مطلع سورة البقرة :

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ : ءَامَنَّا بِاللَّهِ، وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ، وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ، وَالَّذِينَ ءَامَنُوا، وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِى الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَ يَشْعُرُونَ (١٢) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لاَ يَعْلَمُونَ (١٢) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٦ البقرة) .

حيث قال سبحانه (ومن الناس)، ولم يحصر هذا السلوك بطائفة من الناس، أو بزمن معين، وهذا السلوك بدأ بالظهور، بعدما قويت شوكة الإسلام فى المدينة المنورة، واستمر على مرّ العصور، حتى يومنا هذا .

أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ (١٣) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ (١٤)

من أين لهؤلاء القوم الذكرى ؟! أى التوبة والإنابة إلى الله، وقد سبق منهم الإعراض، عما جاء به الرسول الكريم، الذى لا يُشكّك فى كرم أخلاقه، أو

حسبه أو نسبه أو لسانه العربى، محمد عليه الصلاة والسلام، بعد مجيئه والإيمان به، والانتساب إلى دينه . وفضلا عن سبق الإعراض عن رسالته، بعد احتضانها لمدة من الزمن، تولّوا عنه وأعرضوا عما جاء به، واتهموه بالتعلّم من الكهّان والشياطين، بحوادث ميتافيزيقية، وأضافوا إليه صفة الجنون، إمعانا منهم، فى الإجرام والافتراء والاستهزاء، فإن سلم من الكهانة، لم يسلم من الجنون . فيردّ عليهم ربهم قولهم هذا، بقوله لرسوله (فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلاَ مَجْنُونٍ (٢٩ الطور)، (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤ القلم)، (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠ الحاقة)

وستُفاجأ أخى المسلم، أن المقصود بهذا القول ليسوا مشركى قريش، بل مشركى ومنافقى هذا العصر من أمة الإسلام، وأنهم قالوا هذا القول وأكثر، فى رسول الله عليه الصلاة والسلام، تحت رعاية ودعم حكومى مادى ومعنوى، وأن هذا الافتراء ذاته، هو الذى أخبر عنه سبحانه، وهو من أكبر الأسباب الموجبة لعقابهم .

إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (١٥)

ويُخبر سبحانه بأنه سيرفع العذاب عنهم قليلا، بعد انعقاد أسبابه، بكشف الدخان، بعد نيلهم قسطا من أذاه، نزولا عند رغبتهم السابقة، وإقرارهم بالإيمان عند غشيانه لهم، فالدخان مجرد تحذير، ولفت انتباه لهم، بأن الله هو رب السموات والأرض، وبأنه قادر على إماتتهم وإهلاكهم، كما أمات آبائهم، ولئلا تكن لهم حجّة، بأنه لم يعطهم الفرصة للتوبة

والإنابة.. ومن ثم يُقرِّر سبحانه بأنهم سيعودون، لما كانوا عليه، من الشك واللعب، وسيضيفون إليها التولى والإعراض والعصيان والاتهام لرسوله الكريم، ليستوجبوا عن جدارة واستحقاق، أن يبطش بهم رب العزة بطشته الكبرى .

قال تعالى : (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم (٦١ التوبة)، وقال (الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (٥٧ الأحزاب) .

يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ (١٦)

أما بطش رب العزة، فهذا وصفه (إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢ البروج) . ونستطيع تصوّر طبيعة هذه البطشة، من قوله تعالى فى سورة القمر (كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلاَّ ءَالَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (٣٤) نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِى مَنْ شَكَرَ (٣٥) وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (٣٦) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ (٣٧) وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ (٣٩) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٤٠ القمر)، وتماروا بالنُّذر، أى كذّبوا إنذارات لوط عليه الصلاة والسلام، وتحذيراته لهم، وأكثروا الجدال والاستهزاء بها ومنها، فبطش بهم ربهم، وما وقع من قوم لوط، هو ما وقع من هؤلاء، بعد أن جاءهم هذا رسولهم الكريم، نذيرا من غضب الله، فغشيهم الدخان، وستبغتهم البطشة الكبرى، وهم ما زالوا يُمارون ويتمارون، فى شكٍ

يلعبون، من أمر هذا الرسول المبين، وأمر هذا الكتاب المبين، وأمر هذا الدخان المبين .

ـ وما نزل بقوم لوط نستخلصه من الآيات التالية :

(... إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا، جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا، وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا، حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (٨٢) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ، وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣ هود) .

كان ذلك فى الصباح الباكر، حيث رُفعت قرية لوط عليه الصلاة والسلام بمن فيها، إلى السماء، وتقول بعض الروايات أن الملائكة فى السماء الأولى سمعت نباح كلابهم، ومن ثم قُلبت، ورُميت من ذلك الارتفاع الشاهق إلى الأرض، فأحدثت ذلك الجرف الجغرافى، الممتد من على طول نهر الأردن ووادى عربة، ومن ثم أُمطرت بالحجارة، التى لا تزال ظاهرة، إلى يومنا هذا، بانغراسها فى الطيْن المتحجّر، فى تلك المنطقة على سواحل البحر الميت، وفى سفوح الجبال حوله . وخلاصة القول، أن البطشة تعنى خراب الديار وهلاك أهلها، بغض النظر عن الوسيلة، مشهد يحمل فى ثناياه أبشع صور للانتقام الإلهى، حين يوغل الناس بإصرار فى الإجرام، بحق الله وحق رسله الكرام، دون وازع أو رادع، ضاربين بإنذارات ربهم عُرض الحائط، مستحقّين بذلك غضبا إلهيا عارما، سيسكبه على رؤوسهم عاجلا أم آجلا .

وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ... فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ (٢٢)

ومفاد الآيات أعلاه، هو أن حال هؤلاء القوم، مع محمد الكريم الأمين المبين، عليه الصلاة والسلام، كحال فرعون وقومه مع موسى الكريم الأمين المبين، عليه الصلاة والسلام، وذلك نفيا لما قاله هؤلاء عنهما، سواء من فرعون وقومه، أو ممن أشرك وكفر من أمة محمد . ومن تشبيه الحال بالحال، نستطيع التعرف على موقف هؤلاء القوم من محمد، من خلال معرفة موقف فرعون وقومه من موسى، الذى ورد بالتفصيل فى القرآن الكريم، حيث أن الآيات، التى تصف موقف فرعون وقومه من موسى ورسالته، تكاد تبين ما تحويه سورة الدخان، من مقاصد إلهية، تكتنفها الآيات الكريمة .

حال فرعون وقومه مع موسى :

- دعا موسى عليه الصلاة والسلام فرعون وقومه، إلى تقوى الله، فجادلوه واستهزءوا به، وبما جاء به، وأنكروا ربوبية الله، واتهمه فرعون بالجنون، وهدده بالسجن، إن اتخذ إلها غيره، فأراه موسى آيات ربه الكبرى، فاتهمه بالسحر، وببلوغه مرتبة عالية فى علمه، ليصبح كبيرا السحرة، ونفذ تهديده فيمن اتبعه وآمن به من السحرة .

(وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلاَ يَتَّقُونَ (١١) قَالَ رَبِّ إِنِّى أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (١٢) ... فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِى إِسْرَائِيلَ (١٧) ... قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ

حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَائِكُمُ الأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨) قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِى لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٢٩) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ (٣٠) قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣١) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (٣٢) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِىَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (٣٣) قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) ... قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (٤٩) ... (الشعراء)

ولهذا تشابهت لغة الخطاب وتشابهت الحجة فى قول الرسولين الكريمين:

موسى : (قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنتُم مُّوقِنِينَ (٢٤) ... قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَائِكُمُ الأَوَّلِينَ (٢٦ الشعراء)

محمد : (... رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنتُم مُّوقِنِينَ (٧) ... رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَائِكُمُ الأَوَّلِينَ (٨ الدخان)

- فأنذرهم الله بعذابات، من المألوفة للناس، كالقحط والجوع، مشعرا إياهم بقدرته على أخذهم، لعلهم يرجعون، ولكنهم ردّوا هذه الابتلاءات، إلى " الوشّ النحس " (باللهجة المصرية)، لموسى ومن معه، ولم ينسبوها إلى الله . وأصرّوا على كفرهم، فأرسل عليهم ما لم يألفوه، كالطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين . ولكنهم لما وقع بهم العذاب وعاينوه، وعدوا موسى بالإيمان، فى حال كُشف عنهم . ورُفع

العذاب عنهم لأجل مسمى، هم بالغوه، وفور شعورهم بالرخاء، نكثوا عهدهم وعادوا لما سبق، فانتقم الله منهم، لتكذيبهم لآيات الله وغفلتهم عنها .

(وَلَقَدْ أَخَذْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ، لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠) فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ، قَالُوا لَنَا هَذِهِ، وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ، يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ، أَلاَ إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ (١٣١) وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ ءَايَةٍ، لِتَسْحَرَنَا بِهَا، فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (١٣٢) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ، ءَايَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ، فَاسْتَكْبَرُوا، وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (١٣٣) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ، قَالُوا : يَمُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ، لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ، وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٣٤) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ، إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (١٣٥) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ، فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ، بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا، وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٣٦) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ، مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا، وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا، وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ، وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧ الأعراف) .

- فما آمن لموسى، سوى فئة قليلة من مجموع بنى إسرائيل، وتبعهم فرعون إلى البحر، وعندما أدركه الغرق، ندم الإله فرعون، فخان قومه، وأعلن توبته وإيمانه بإله آخر، هو الإله، الذى آمنت به بنوا إسرائيل، حسب قوله .

(ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا

وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (٧٥) ... فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ، عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ، أَنْ يَفْتِنَهُمْ، وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (٨٣) ... وَجَاوَزْنَا بِبَنِى إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ، فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا، حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ، قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِى ءَامَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠ يونس) .

ـ وأما عامة المصريين، فقد اتبعوا إلههم وربهم الأعلى فرعون، بعد أن استخفّ عقولهم فأطاعوه، وأضلّهم عن السبيل، فكانوا قوما فاسقين كإلههم، ومن الغريب أن صفة خفة العقل، صفة متوارثة لغاية الآن فى عامة الشعب المصرى، إلا من رحم ربى، كما ورث أهل العراق صفة البأس الشديد من أجدادهم البابليين .

(وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِى، فَأَوْقِدْ لِى يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ، فَاجْعَلْ لِى صَرْحًا، لَعَلِّى أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّى لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣٨ القصص) . (فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَى (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَى (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمْ الأَعْلَى (٢٤ النازعات) . (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤ الزخرف) . (وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى (٧٩ طه) .

ـ أما علية القوم، حاشية السوء فكان رأيهم أنهم هم المصلحون، وأن موسى ومن معه من المؤمنين بالله، هم المُفسدون فى الأرض، وكذلك رأى فراعنة هذا العصر، فى المصلحين من الناس، بمعنى أنهم سيدفعون الناس إلى عبادة

الله، فيتركوا عبادة آلهة فرعون، مما يجعلهم يستنكفوا عن طاعته، فتُقوض بذلك أركان ملكه، مما يؤول به إلى الزوال، فتفسد الأرض، لذلك يجب التخلص من شرورهم، بقتل أبنائهم واستحياء نسائهم وقهرهم، وقتل الرأس المحركة للفتنة .

(وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِى الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِى نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (١٢٧ الأعراف) . (وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِى أَقْتُلْ مُوسَى، وَلْيَدْعُ رَبَّهُ، إِنِّى أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ، أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِى الأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦)

- وأما مؤمن آل فرعون، كان له رأى آخر، إذ قال لقومه، فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا !؟

(يَقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِى الأَرْضِ، فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا، ... قَالَ فِرْعَوْنُ : مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى، وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩ غافر) . وعلى هذا، فليحذر فراعنة أمة الإسلام الجدد، الذين يهدون الناس إلى سبيل الرشاد الخاص بهم، من بأس الله !!

- وجاء نصر الله لرسوله الكريم، فأنجاه من مكر فرعون وملئه، وأنزل بهم ما استجلبوه على أنفسهم، من عذاب الدنيا والآخرة .

(فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ

الْعَذَابِ (٤٦ غافر)

- وأخيرا، تهديد وتحذير شديد اللهجة، لمن كفر بالنذير محمد، من ملاقاة نفس المصير، فليس هناك استثناء لأحد، حتى ولو انتسب لأمته وادعى الإسلام، فملة الكفر عند رب العزة واحدة، ومصيرها واحد، إذ لا خيرية فى الكفر .

(وَلَقَدْ جَاءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (٤١) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ (٤٢) أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِى الزُّبُرِ (٤٣ القمر). (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا، شَاهِدًا عَلَيْكُمْ، كَمَا، أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ، فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا (١٦ المزمل) .

وقد جانب الصواب من ظنّ، بأن الذين ورثوا أرض مصر، هم بنى إسرائيل، فتاريخ مصر القديم والحديث، لا يدل على ذلك، وكذلك تاريخ بنى إسرائيل، فى القرآن والسنة والتوراة والتلمود، كما بينّاه سابقا، وأما المقصودين بوراثتها ها هنا، هم أهل مصر، من أبناء من بقى، من قوم فرعون وعبيده، الذين لم يُهلك منهم فى اليم غرقا، سوى من تبع بنى إسرائيل، أثناء خروجهم من مصر، أما الأرض التى ورثها بنو إسرائيل، بعد خروجهم من مصر، فهى الأرض المقدّسة والمباركة أى فلسطين .

وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِى إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ... وَءَاتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ (٣٣)

ويُذكّر سبحانه بإنجائه بنى إسرائيل، من فرعون وقومه، وبما آتى نبيهم موسى عليه الصلاة والسلام، من معجزات بيّنات، فى مصر وأثناء خروجهم منها، شاهدوها بأم أعينهم، ويذكّر سبحانه بأنه وبالرغم من تفضيلهم، وابتلائهم بالسرّاء والضرّاء، فما كان من أكثرهم إلا الكفر والفسوق والعصيان، وإيذاء نبيهم موسى عليه الصلاة والسلام، فأنزل بهم وعليهم ربهم العذاب تلو العذاب، مما فصلناه فى فصل سابق . وكما حاول فرعون إيذاء موسى ومن منعه من المؤمنين، كذلك فعل بنو إسرائيل أنفسهم، بموسى بعد النجاة، (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ : يَقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى ؟! وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ، فَلَمَّا زَاغُوا، أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ، وَاللَّهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥ الصف)، ومجمل من تقدّم ذكرهم فى سورة الدخان، يقول فيهم سبحانه:

إِنَّ هَؤُلاَءِ لَيَقُولُونَ : إِنْ هِىَ إِلاَّ مَوْتَتُنَا الأُولَى ... أَهْلَكْنَاهُمْ، إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٣٧)

يُقرّر سبحانه وتعالى بأن (هَؤُلاَءِ) أى أصحاب الدخان، يُنكرون البعث والنشور، كما يُقرّر سبحانه وتعالى، أنهم ليسوا بخير من قوم تبع، والذين من قبلهم، حيث أهلكهم الله بإجرامهم . ومن المفهوم ضمنا، بأن فى هذا وعيد، لمن يُجرمون فى حق الله ورسله وكتبه، وينكرون البعث . حيث أنهم لو آمنوا، بحقيقة رجعتهم إلى الله فى اليوم الآخر لتقديم الحساب، ونيل ما ترتب على أقوالهم وأفعالهم تلك، من ثواب وعقاب، وتحصّل لديهم اليقين بذلك، لما تجرّأوا على الإجرام، كما أجرم الذين من قبلهم . فهم فى شك يلعبون، ومصيرهم الهلاك لا محالة، وانظر قوله تعالى موضحا حقيقة حالهم، وهو

أعلم بما يعتمل فى صدورهم، وحقيقة موقفه منهم، ومن أمثالهم ماضيا ومستقبلا :

قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٣٨) هُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِى الأَرْضِ، فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَلاَ يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ، إلاَّ مَقْتًا، وَلاَ يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ، إلاَّ خَسَارًا (٣٩) ... وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ، لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ، لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ، مَا زَادَهُمْ إلاَّ نُفُورًا (٤٢) اسْتِكْبَارًا فِى الأَرْضِ، وَمَكْرَ السَّيِّئِ، وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إلاَّ بِأَهْلِهِ، فَهَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ سُنَّةَ الأَوَّلِينَ، فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (٤٣) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِى الأَرْضِ، فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَىْءٍ، فِى السَّمَوَاتِ وَلاَ فِى الأَرْضِ، إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (٤٤) وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ، بِمَا كَسَبُوا، مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ، وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (٤٥ فاطر) .

وقال (فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ، لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا، سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِ، وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥ غافر) .

- إذن لا أحد ممن أجرم فى حق الله، بمفازة من العذاب، وما تركهم فى طغيانهم يعمهون، إلا لحين مجىء أجلهم المعلوم سلفا، وتأخير العذاب عنهم، ما كان لعجز، أو لقصر ذات يد . إذ أنهم كلما أمعنوا فى الكفر، كلما ازدادوا

مقتا وغضبا وخسارة، وكلما اقترب إليهم أجلهم، وهم لا يشعرون، ولن يقبل إيمانهم، عند معاينة العذاب، بعد أن حق القول عليهم، وصدر الحكم بكفرهم، ونفذ قضاء الله فيهم .

فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ، فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ (٥٩)

أى أن الله سبحانه سهّل هذا القرآن، بلسان عربى مبين، وجعله قابلا للفهم والهضم، لمن أراد فهمه، رغبة فى الذكرى والتذكّر، ومن لم يُرد الذكرى منه، وارتاده لأمر ما غير ذلك، حُجب عنه الفهم، ووجده طلاسم ورموز لا يفقه منها شيئا، فكذّب وجادل وكفر، ونسب إلى كتاب الله، ما ليس فيه، وأعرض عن اتباعه، ونهى عن العمل به، وحاربه بشتى الوسائل والسبل :

قال تعالى (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢١) ... وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ، وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ، وَفِى ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا، وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لاَ يُؤْمِنُوا بِهَا، حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ، يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا، إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (٢٥) وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ، وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ، وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ، وَمَا يَشْعُرُونَ (٢٦) وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ، فَقَالُوا : يَلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا، وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ بَدَا لَهُمْ، مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ، وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٢٨) وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٢٩ الأنعام).

(فارتقب) خاص برسوله عليه الصلاة والسلام، وفيه وعد بنصرته

ونصرة أتباعه، بإهلاك خصومه، وعام لمن يُخاطبهم القرآن، (إنهم مرتقبون) أى مرتقبين هلاكهم، غير مصدّقين، مستهزئين غير عابئين، بما وعدهم الله من أمر البطشة الكبرى، وفيه تهكّم من الله بهم وتحقيرا لشأنهم . وقوله (فارتقب) يفيد أن ذلك سيقع مستقبلا، وفيه حثّ على الترقّب والانتظار، كقوله (فارتقب يوم تأتى السماء) لمعاينة الحدث الأول، (أى الدخان) الذى بيّن رب العزة خبره، وبيّن ما سيكون قولهم عند نزوله بهم، وما سيكون موقفهم بعد كشفه عنهم، ومن ثم (فارتقب) فى آخر السورة، لمعاينة الحدث الثانى (أى البطشة الكبرى)، لتعلم وليعلم المؤمنون، بأن ما أخبر عنه هذا القرآن الكريم المبين هو الحق، وأن من أنزله هو الحق، وأن ما يُنكره هؤلاء بكفرهم، هو الحق فلا يُضيرك ويُضير المؤمنين به، كفرهم وفسوقهم وعصيانهم، فلن تأسف عليهم السماء ولا الأرض، كما لم تأسف على من أهلكناهم من قبل، قال تعالى (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ، لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ، إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥المائدة) .

صفات الدخان :

١ - بيّن واضح لا لُبس فيه، لا يختلف عليه اثنان، وهو المعروف المألوف بين الناس، وهو الذى ينجم عن عملية الحرق فى العادة. ذو طبيعة غازية، ولون أسود، ورائحة كريهة نفّاثة مؤذية، بدلالة قوله تعالى (بِدُخَانٍ مُبِينٍ) .

٢ - هو من الأمور المنتظرة والمرتقبة، قادم لا محالة فى يوم من الأيام،

بدلالة تنكير كلمة (يَوْمَ) .

٣ - مصدره من السماء، لا الأرض، بدلالة قوله تعالى (تَأْتِى السَّمَاءُ)، أى أن السماء ستأتى به، وبذلك ستكون الغازات المؤلفة لهذا الدخان، غير تلك الغازات، التى تؤلف الدخان الناجم، عن الحرائق على الأرض .

٤ - ظهوره مفاجئ ومباغت، وغير مسبوق بما يُنبئ عن قدومه، لكى يتعذر على الناس، إيجاد تبريرات وأسباب مادية ومنطقية لظهوره، ليؤكد سبحانه، بأن مصدره هو السماء، وأنه عذاب من عنده، وأنه نذير سوء، وأن هناك ما هو أفظع منه وأقسى، ألا وهو البطشة الكبرى، بدلالة قوله تعالى (فَارْتَقِبْ)، وهو خطاب بلفظ المفرد خاص برسول الله عليه السلام، ومراد به العموم، ممن يسوءهم ما يسوء الله ورسوله، أى فارتقبوه لتعرفوه إذا ظهر، وليرتقبه المعنيين به ليحذروا، ما يكون من أمر الله بعده .

٥ - إحاطته بالناس من كل الجوانب . بمعنى أنه ينزل من السماء، ويمكث قريبا من الأرض، ملازما للناس، يملأ عليهم معايشهم ومساكنهم، بدلالة قوله تعالى (يَغْشَى النَّاسَ)، والناس هنا، هم الذين سيُظهرون الشك واللعب فى أمر دينهم، دون غيرهم، لأن الآيات السابقة لها حدّدت حقيقة معتقدهم (فى شك) ووصفت فعلهم (يلعبون) . وفى العادة فإن الدخان، يتصاعد إلى أعلى بعيدا عن الناس ومساكنهم، ومن ثم ينتشر فى السماء ويختفى تدريجيا، ومن ثم تمتزج ذراته مع ذرات الماء والغبار، وتترسب وتعود إلى سطح الأرض، خلال سويعات قليلة . ولكن هذا مخالف لكل ما سبق، يهبط

من أعلى إلى أسفل، ويبقى ملازما للأرض وللناس، ولا ينتشر ولا يترسب، حتى تتحصّل الغاية من إرساله، بتعذيب أولئك القوم .

٦ - يُصاب الناس منه بالأذى والضرر، وعادة ما يُحدث الدخان ضررا، فى الأنف والعين والحنجرة، وقد يتسبّب بحالات اختناق نتيجة نقص الأوكسجين، فى أسوأ الأحوال، من جراء غشيانه وإحاطته بهم، ولكن دون الموت والهلاك، بدلالة قوله تعالى (هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ)، وهذا تقرير من رب العزة بأنه عذاب، لمن قد يُشكّك فى ذلك، أى أن المقصود بإنزاله، تعذيب من ينزل بهم، وليس موتهم، لأمور اقترفوها، توضّحها الآيات فيما يليها .

٧ - هذا الدخان حدث عارض، وغشيانه للناس مؤقت، وانكشاف هذا الدخان، سيكون بأمر من الله، لقوله (إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا)، إذ أن الهدف منه هو الإنذار فقط، بالرغم من انعقاد الأسباب الموجبة للعذاب، ولكن يلزم الإصرار من قبل القوم، على ما هم فيه من العتو والكبر، قبل نزول البطشة الكبرى بهم، وهذا رحمة من الله، حتى بمن يؤذيه، ويؤذى رُسله من عباده .

حقيقة معتقد هؤلاء القوم وصفة أقوالهم وأفعالهم :

١- انعدام اليقين بالله، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وكل ما أخبرت عنه الكتب السماوية، (بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ) .

٢ - الإعراض عن آيات الله، والاستهزاء بها، واتخاذها هزوا ولعبا، كمادة

للتسلية والفكاهة والتندر (يَلْعَبُونَ) .

٣ - النفاق حتى مع الله، فحقيقة أفعالهم، تتنافى مع ما يُظهرونه، من إيمان أو انتساب للإسلام، فقولهم هو (رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ)، وشهادة رب العزة تُكذّب قولهم (أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى) .

٤- الكفر بعد الإيمان، بالإعراض عن هدى رسول الله، عليه الصلاة والسلام، (ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ) .

٥- الطعن فى خلقه الكريم، واتهامه بالجنون أى المس، وبالتعلّم من البشر والكهان والسحرة، (وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ) .

٦ - محاربة الله وإيذاء رسوله وأوليائه من الناس، من تضييق وتعذيب وقتل، ومحاربة الإسلام، والطعن فى تعاليمه، وإضلال الناس وإبعادهم عن الحقيقة، وهدى الناس بغير هدى محمد، عليه الصلاة والسلام، واتهام المُصلحين من الناس، بالمفسدين فى الأرض، خشية أن يُبدّل هؤلاء المصلحون دينهم الجديد الذى يدينون، بإحياء الدين الإسلامى من جديد،، وهذه هى أقوال وأفعال فرعون وقومه، ومستفادة من تشبيه حال هؤلاء القوم، بحال فرعون وقومه، وكذلك بحال بنى إسرائيل .

٧- إنكار البعث والنشور وما يليه من حساب، وثواب وعقاب، (إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ : إِنْ هِيَ إِلاَّ مَوْتَتُنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ) .

٨- ماديّون منشغلون ومتفانون فى الحياة الدنيا، فهم من عُبّاد الدنيا

ومظاهرها الخادعة، لا يؤمنون إلا بما هو محسوس، من الدلائل الدافعة للشك والموجبة لليقين، لطلبهم الدليل المادى بقولهم (فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)، للتأكد من حقيقة القدرة على البعث، وما هم بموقنين، فعقولهم قاصرة عن فهم الدلائل العقلية، المطروحة فى القرآن، والتى لا تتحصّل إلا بالتفكّر والتدبّر .

٩- مجرمون ومصرّون على إجرامهم، فلا وازع ولا رادع، يثنيهم عن غيهم وطغيانهم، ولا تعنيهم التحذيرات والنذر، (أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) .

ظهور هذا الدخان بصفته الموضحة أعلاه، لم يتحصّل فى حياته عليه الصلاة والسلام، حيث لو عاينه فى حياته لأخبر عنه، أو أخبر عنه أصحابه، ولورد خبره فى كتب السيرة والتاريخ، وليس من المنطقى أن يكون من أحداث يوم القيامة، أو من أشراطها الكبرى، فصفته وصفة هؤلاء القوم، والغاية من غشيانه لهم، كما تُبينها الآيات، لا تتفق مع كونها أحد أشراط الساعة الكبرى، والتى سيُعاينها مجمل البشر، بينما هذا الدخان، خاص بأناس من أمة الإسلام، وسبب غشيانه لهم، هو أنهم كفروا بعد أن كانوا مسلمين، وأما السبب الموجب للبطشة الكبرى، هو إيذاءهم لرسوله الكريم، بالرغم من تحذيرهم بالدخان .

(وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ)

جاء فى لسان العرب أن " جماع معنى الفتنة، الابتلاء والامتحان

والاختبار، وأصلها، مأخوذ من قولك فتنت الفضة والذهب، إذا أذبتهما بالنار، لتميز الرديء من الجيد " . ويتضح معناها من قوله تعالى (وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً (٣٥ الأنبياء)، وقوله تعالى (الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا، أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا، وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا، وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) ... وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ (١١ العنكبوت)، ليكون معنى الفتنة، هو الامتحان والاختبار، ويكون ذلك بالابتلاء بالشر أو بالخير، ليعلم الله الصادق من الكاذب، وليعلم المؤمن من المنافق .

والملاحظ فى الآيات أعلاه، أن المخاطب فى الآية (٣٥) من الأنبياء، هم المعاصرين لرسالة الإسلام، وأن الحديث فى الآية (٢) من العنكبوت، كان عن الناس إجمالا وبشكل عام . أما قوله (ولقد فتنا الذين من قبلهم) فالضمير (هم) يعود على المعاصرين لرسالة الإسلام، والذين فتنوا من قبلهم، هم كل من سبقت فتنتهم، قبل مجيء الإسلام، إذ لم يكن فى هذه العبارة، تحديد لأقوام بعينها سبقت فتنتها، فهى أسبقية زمانية لا مكانية .

وأما فى سورة الدخان، فيقول سبحانه وتعالى، (ولقد فتنا قبلهم)، وضمير الغائب (هم) فى كلمة (قبلهم)، يعود حصرا على أصحاب الدخان، الموعودين بالبطشة الكبرى، وبمجيء التحديد لقوم بعينهم، بقوله تعالى (قوم فرعون)، تصبح أسبقية (قوم فرعون) لهؤلاء الناس، مكانية وزمانية فى آن واحد، ونلاحظ هنا، أن الفتنة كانت للقوم بشكل عام، إذ لم يقل سبحانه (فرعون) أو (فرعون وقومه) أو (فرعون وملئه)، وإنما قال

(قوم فرعون) .

ليصبح المعنى، بأننا قمنا بامتحان واختبار، هؤلاء القوم (أصحاب الدخان)، فكان منهم ما كان، من أمر رسولهم، ورسبوا فى الامتحان الذى قُدّم إليهم، بمجىء محمد عليه الصلاة والسلام، الرسول الكريم، وتبيّن لنا وتأكّد أنهم كاذبون، فاستحقوا بطشتنا الكبرى، فبطشنا بهم، كما كنا قد فتنا قبلهم فى نفس الأرض، قوم فرعون، ببعث رسولنا الكريم موسى إليهم، فكذبوه وحاربوه واتهموه بالسحر والجنون، فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر .

وهنا نفهم من قوله تعالى، (يغشى الناس)، بأن المقصودين هنا، أناس بعينهم لا جملة البشر، وحقيقة هؤلاء الناس موضحة، فى الآيات بشكل لا لبس فيه، وأهم ما يتميّزون به هو الكفر والنفاق، وأن هذا الدخان سيغشاهم كعذاب وليس كابتلاء، وذلك لكفرهم ونفاقهم، مما ينفى أن هذا الدخان سيُبتلى به عامة البشر، من مؤمنين وكفار ومنافقين، ويُفهم من قوله (الناس)، أنه سيغشى عامة الناس المقيمين فى المكان، الذى أحدث الناس فيه، ما وصفته الآيات أعلاه، دون سائر البشر .

أما الإشارة الثانية للمكان فجاءت فى قوله تعالى (وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِى إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (٣٠) مِنْ فِرْعَوْنَ ...)، ونجاتهم كانت بخروجهم من مصر، وذكر بنى إسرائيل أيضا جاء هنا، لاشتراكهم مع الفراعنة بالفساد والإفساد فى الأرض، وانعدام الإيمان بالله واليوم الآخر، ومحاربتهم لله ولرسله وأنبيائه والصالحين من الناس، قبل العلو وبعده، فأنزل الله بهم

العذاب تلو العذاب .

وقوله تعالى (... إِنَّ هَؤُلاَءِ ...) أصحاب الدخان. (... أَهْلَكْنَاهُمْ. إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٣٧) وفيه تهديد ضمنى، للمخاطبين بالقرآن، من كفرة أمة محمد عليه الصلاة والسلام، بالإهلاك كما أُهلك الذين من قبلهم، لما فعلوا مثل فعلهم .

ترتيب المشاهد حسبما وردت فى سورة الدخان :

المشهد الأول : الشك واللعب .

المشهد الثانى : غشيان الدخان للناس، ومن ثم زواله .

المشهد الثالث : العودة لما كانوا عليه، بل والإمعان فى التولى والإعراض، وأخيرا الإساءة لرسول الله .

المشهد الرابع : البطشة الكبرى .

الفصل السادس

هرمجدون برؤية إسلامية

«وعلاقة هرمجدون بالمهدى المنتظر»

هرمجدون والمهدى المنتظر..

نعته ونسبه

المهدى من الهدى، أى الهداية والإيمان، ولقب بالمهدى لأنه مهدى إلى الحق ويهدى إلى الحق، ويلقب أيضاً بالجابر، لأنه يجبر قلوب المسلمين فى زمانه بعدما ذاقوا الويلات والدمار من قهر الظلمة الجبابرة، فيأتى المهدى عليه السلام ليجبر خاطرهم، ويقطف رقاب هؤلاء الجبابرة أذلهم الله.

أم نسبه فقيل : من أولاد الحسن، وقيل: من أولاد الحسين، إلا أن نسبه المؤكد يعود إلى فاطمة عليه السلام بنت رسول الله صلى الله كما جاء فى الحديث: « المهدى من عترتى من ولد فاطمة»

وروى ابن ماجه فى سنته عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «المهدى منا أهل البيت يصلحه الله فى ليلة»

وفى حديث أخرجه ابن ماجه فى سننه أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة: أنا وحمزة وعلى وجعفر والحسن والحسين والمهدى»

أما اسمه فـ(محمد بن عبد الله أو أحمد بن عبد الله) حيث يوافق اسمه واسم أبيه اسم النبى وأبيه أيضاً، كما جاء فى الحديث: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم.. حتى يبعث فيه رجلاً منى أو من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى .. يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما

ملئت ظلماً وجوراً»

ومن أوصافه عليه السلام مارواه الطبرانى فى الأوسط عن أبى أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « سيكون بينكم بينك وبين الروم أربع هدن .. تقوم الرابعة على يد رجل من أهل هرقل يدوم سبع سنين. قيل: يارسول الله ! من أمام المسلمين يومئذ؟

قال: من ولد أربعين سنة كأنه وجهه كوكب درى، فى خده الأيمن خال شامة أسود، عليه عباءتان قطوانيتان»

وروى أحمد فى مسنده عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المهدى منى: أجلى الجبهة، أقني الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»

ومن أوصافه الخلقية أيضاً أنه عليه السلام: ليس بالمكلثم (وجهه مستدير غير مدور، مضىءكأنه كوكب درى)، غير مطهم بل ضرب من الرجال (خفيف اللحم ممشوق مستدق)، آدمى (لون بشرته كلون الأرض - ترابى)، ربعة متوسط الطول ما بين الطول والقصر)، أدعج وأكحل العنين (عيناه واسعتان شديدتا السواد)، أهدب (طويل الأشفار)، براق الثنايا (أسنانه فيها بريق ولمعان من شدة البياض)، وأفرقها متباعدة غير متلاصقة (منفرج الفخذين) كث اللحية في كتفه خاتم (كخاتم النبوة يدلل على أنه من ذرية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم)، فى نطقه ثقل، له من العمر مابين الثلاثين إلى الأربعين، عليه عباءتان قطوانيتان كل منهما عباءة بيضاء قصر

الخمل.

اما سيرته الذاتية فهى كسيرة المصطفى، خلقه القرآن، يسخط لسخطه ويغضب لغضبه. وما سأله سائل قط إلا أصغى أذنه إليه، ولاينصرف حتى يكون هو الذى ينصرف عنه، وإذا صافح أو صافحه الرجل لاينزع يده حتي يكون الرجل ينصرف عنه، ولا يرى مقدماً ركبتيه بين يدي جليس له أبداً ولايسب ولا يشتم عاملاً أو أجيراً عنده ولا يقول له أف قط، ولالشئ فعله لم فعلته، أو لشئ لم يفعله لم تفعله..

واخيراً: فإن كان مامن أحد فى الوجود وصل إلى ماوصل إليه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بعدما قال فيه ربنا جل جلاله: (وإنك لعلى خلق عظيم) فإن السيد المهدى عليه السلام سيكون أقرب الناس خلقاً النبى صلى الله عليه وسلم

أحداث تمهيدية للظهور:

يظهر المهدى عليه وسلم وفى الأرض ظلم وجور كبيران، وخلاف واسع واقتتال بين العرب والمسلمين من وجهة وأعداد العرب والمسلمين من جهة أخرى، فيوحد الصفوف ويجمع الكلمة، ويحرر العالم من كل أشكال التبعية والاستعمار. فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً. وها هو النبى صلى الله عليه وسلم يبشرنا بقرب ظهوره والخلاص من كل أنواع القهر والظلم والاستبعاد بإذن الله .. كما يروى لنا أحمد فى مسنده عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: « أبشركم بالمهدى .. يبعث فى أمتى على

اختلاف من الناس وزلازل، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ويرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، ويملأ قلوب آمة محمد صلى الله عليه وسلم غنى فلا يحتاج أحد إلى أحد، فينادى مناد: من له فى المال حاجة؟ قال: فيقوم رجل فيقول: أنا، فيقال له: أئت السادن يعني الخازن. فقل له: قال لك المهدي :أعطني: قال: فيأتي السادن. فيقول له: فيقال له : احتث، فيحتثى فإذا أحرزه قال : كنت أجشع أمة محمد صلى الله عليه وسلم نفساً أو عجظ عنى ما وسعهم. قال: فيمكث سبع سنين أو ثمان سنين، ثم لاخير فى الحياة أو فى العيش بعده».

فيوم البشرى للعرب خاصة وللمسلمين عامة، لدى سماع وكالات الأنباء السمعية والمرئية وهى تذيع نبأ ظهوره وبيعته عليه السلام، وعما قريب بإذن الله..

إلا أنه وقبل ظهوره عليه السلام، ستكون هناك فتن وخلافات كما أسلفنا فيما بين العرب والمسلمين من وجهة، وأعداء العرب والمسلمين هناك فتن وخلافات كما أسلفنا فيما بين العرب والمسلمين من وجهة، وأعداء العرب والمسلمين من جهة أخرى، ولنبدأ من مكة والمدينة، حيث يكون فى شبه الجزيرة العربية ـ وعلى الأرجح المملكة العربية السعودية سيتولي الإمارة من بعده، أذ تكون المملكة والبيت الحرام فى وضع حرج على من سيتولى الإمارة من بعده وسيكون تهديد لأمنها وأمن المنطقة، كما يحدث الآن من وجود للقوات الأمريكية فى المملكة خاصة وشبه الجزيرة العربية عامة، والعدوان الصهيونى على الشعب الفلسطينى الذى بات يهدد المنطقة العربية برمتها

وأمن البيت الحرام وما حولها من المقدسات الإسلامية.

فى ظل هذ االواقع الخطير الذى تعيشه أمتنا اليوم، يهتم بضعة من علماء المسلمين ليبحثوا عن رجل من قريش من أهل بيت النبى محمد صلى الله عليه وسلم - وهو نفسه المهدى عليه السلام يعرفونه بنعته الذى نعته لنا النبى صلى الله عليه وسلم بالضبط ويريدون بيعته لينقذا الأمة من هذا الوضع الخطير حتي إذا ما استدلواعليه وهم يبحثون عنه فى المدينة، وبمعرفة أهل العلم والصلاح من أهلها - التقوا به وطلبوا منه البيعة لينقذ الأمة، فيتنكر لهم ويفر هارباً إلى مكة، لاخوفاً وإنما تهرباً من الزعامة والإمارة، فضلاً عن الإذن بالظهور قد يكون لم يأته بعدن حتى إذا ماوصل مكة وعلم به أهلها، ومن أن ثلة من علماء المسلمين تطلبه للبيعة، يفرض حينما أهل مكة عليه، ويبايع ليلة عاشوراء مابين الركن والمقام.

وبعد أن البيعة تتم المهدى عليه السلام يخشى أعداء الإسلام من توجيد كلمة المسلمين وعودة الخلافة إليهم من جديد، فيبعث إليه جيش من بلاد الشام إذا كان ببيداء خسف به، ثم يخرج رجل من قريش أخواله من بنى كلب، قاصداً المهدى عليه السلام، فيجعل الله الغلبة على بنى كلب، ويغنم المسلمون غنيمتهم، ويقسمها المهدي (عليه السلام) ذلك ليس من نسخ الخيال وإنما من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود فى سننه: «يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام، ويبعث إليه بعث من أهل الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة

والمدينة، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه

ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب فيبعث إليهم بعثاً فيظهرون عليهم، وذلك بعث كلب والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب، فيقسم المال ويعمل فى الناس بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، ويلقى الإسلام بجرانه فى الأرض، فيلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون»

وقد جاءت عده روايات تشير إلى أمير بلاد الشام آنذاك يقلب بالسفيانى نسبة إلى نسبة الذى يعود إلى أبي سفيان (أمية بن حرب). ولضعف تلك الروايات فقد أعرضت عن ذكرها، إلا أنه وبلا شك فى أن أمير البلاد آنذاك سواء أكان السفيانى أم غيره من جبابرة هذا العصر سيكون كافراً منافقاً كغيره من الملوك والأمراء ومن العصرين القديم والحديث ممن ادعوا الإسلام ظاهراً من القول، وقد أخفوا فى صدروهم كل الغل والحقد على هذا الدين، فما إن يبسطوا سطوتهم على بلد من بلاد العرب والمسلمين إلا ويتسارعون فى هدم كل أركان الدين .

وظهور السفيانى هذا سيكون على أثر فتنة واسعة تمور مور الموج فى البحر مركزها فى البلاد الشام، وشواطئها فى أطراف العراق ومصر وشبه الجزيرة العربية .. روى أبو نعيم فى الحلية عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أربع فتن تكون بعدى: الأولى يسفك فيها الدماء، والثانية يستحل فيها الدماء والأموال. والثالثة يستحل فيها الدماء والأموال

والفروج الرابعة صماء عمياء مطبقة تمور مور الموج فى البحر لايجد أحد من الناس ملجأ، تطيف بالشام وتغتشى العراق وتخبط الجزيرة بيدها ورجلها، تعرك فيها الأمة بالبلاء عرك الأديم ثم لايستطيع أحد من الناس أن يقول فيها: مه .مه .. لايدفعونها من ناحية إلا انفتقت من ناحية أخرى »

وإن مايحاك اليوم من مؤامرات صهيونية وأمريكية حول المنطقة، ومن توافد لحشود عسكرية أمريكية فى شمال العراق وضمن الأراضى التركية، وما تقوم به إسرائيل اليوم من استعدادات أمنية واستدعائها لقوات الاحتياط لديها وتهديداتها المتعاظمة لسوريا وتهديد الولايات المتحدة الأمريكية للعراق وأساطيلها التى تتمركز فى منطقة الخليج، واحتقان الشارع العربى من هذا الصمت العجيب لما يحدث الآن فى فلسطين .. كل ذلك بات ينبئ بظهور فتنة صماء عمياء مطبقة تمور مور الموج فى البحر، تطيف بالشام وتغشى العراق وتخبط الجزيرة بيدها ورجلها، لايدفعونها من ناحية إلا انفتقت من ناحية أخرى .. وفى آخرها يخرج السيفانى ليعيث فى الأرض فساداً

وعلى الأرجح أن لايطول حكم السفيانى هذا سوى بعضة أشهر ليظهر المهدى عليه السلام، فيبعث إليه السفيانى بجيشه حتى إذا كان ببيداء قرب مكة خسف بذلك الجيش فلاينجو منه إلا عنهم، وقيل: ينجو اثنان بشير ونذير، فيذهب البشير إلى المهدى عليه السلام ويبشر بالخبر، وأما النذير فيذهب إلى السفيانى ليخبره وينذره بما حدث روى أحمد فى مسنده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ليؤمن هذا البيت جيش يغزونه، حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بأوسطهم، فينادى أولهم وآخرهم، فلاينجو إلا الشريد

الذى يخبر عنهم» فيسمع الناس بالخبر، ويتوافد المسلمون إلى مكة ليبايعوا المهدى عليه السلام، فيأتيه خيار أهل الشام وعصائب أهل العراق، ووفد من كل بلاد المسلمين، ليكون ذلك بداية لنهاية أطول حقبة في تاريخ الأمة الإسلامية، التى استمرت على امتداد عشرات القرون، فى صراعها وعراكها الدؤوب على الحكم والسلطة وتولى الإمارة، منذ أن وطد معاوية لابنه يزيد وأورثه مقاليد الحكم والملك، رغما عن أهل بيت النبى، فضلاً عن شن الحروب وإراقة الدماء بدعوى القصاص من قتله عثمان الذى أبى على حراسه وأولهم الحسن والحسين من أن يرفعوا سيفيهما لنصرته وكل ذلك لحقن الدماء، ثم نغالط أنفسنا بمقولة أن معاوية قد اجتهد فأخطأ أما فاصاب .. إلى هنا ونضغط على المكابح.

تلك كانت خلافة راشدية على نهج النبوة انتهت بمقتل واستشهاد سيدنا الإمام على بن أبي طالب عليه السلام ليأتى الآن دور المهدى عليه السلام متمماً ما انتهى عنده العصر الراشدى الأول، وبالتالى لتبدأ خلافة جديدة راشدية على نهج النبوة أيضاً ، كما جاء فى هذا الحديث المعجز والذى لخص فيه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم طبيعة وشكل الخلافة وعلى امتداد أربعة عَشر قرناً من بعده : « تكون النبوة فيكم ماشاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج البنوة»

ويظهر المهدى عليه وسلم حين البيعة معه قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيفه ورايته مكتوب عليها البيعة لله ومن الإمارات التى تسبق ظهوره عليه وسلم كما جاءت بها الأحاديث والروايات عن السلف الصالح هى التالية:

انحسار نهر الفرات على جبل من ذهب يتقاتل عليه ثلاثة أمراء كلهم أبناء لأمراء سابقين

- ظهور نار عظيمة من قبل المشرق تستمر ثلاث أو سبع ليال

- خسف لبلدة فى المنطقة الغوطة من بلاد الشام

- كثرة الزلازل والاختلافات.

- خروج السفيانى والأبقع والأصهب والأعرج الكندى، وهى ألقاب لأمراء المرحلة المقبلة من الأحدث التى تسبق المهدى عليه السلام، فالأول هو أمير بلاد الشام، والثانى فى مصر، والثالث فى شبه الجزيرة العربية، وأما الرابع فسيكون فى بلاد المغرب

- يظهر من المشرق نجم (مذنب) له ذنب يضئ، هذا المذنب يظهر فى السماء ليضئ اثناء الليل كل ألفى عام تقريباً ومع ظهوره يحدث من السماء أمرعظيم وقد ظهرهذا المذنب في العام الذي ولد فيه السيد المسيح عليه السلام وسيظهر مرة أخرى مبشراً بظهور السيد المهدى عليه وسلم .. والله أعلم.

ـ حمرة تظهر فى السماء وتنتشر فى الأفق.

ـ يحدث انكساف للقمر فى أول شهر رمضان وخسوف للشمس بعد منتصفه.

ـ وأخيراً هناك الرايات السود القادمة من خراسان.

ولنقف عند خراسان والرايات السود، لنتعرف عليهم وبشئ من التفصيل لأهيتهم وعلاقتهم الوثيقة بالمهدى عليه السلام. فمن يكون هؤلاء حملة الرايات السود؟!!

خراسان والرايات السود:

إقليم خراسانى يطلق على الجزء الأكبر من بلاد أفغانستان وإيران حاليا ً، حيث من على جبالها المغطاة بالثلوج، تأتى الرايات السود تمهيداً لظهور المهدى عليه السلام لنصرته وبيعته. كما جاء فى المشرق معهم ريات سود، فيسألون الخير فلا يعطونه، فيقاتلون فينصرون فيعطون ماسألوا فلايقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتى .. فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوا على الثلج» رواه ابن ماجه (الجزء الثاني ـ ١٣٦٦ صفحة ٤٠٨٢)

حملة الرايات السود هؤلاء ليسوا كرايات بنى العباس ـ الذين جاؤوا بنعى الإسلام. إذ إن قدوم الرايات السود هذه المرة من قبل المشرق سيكون على أثر نشوب حرب مهلكة بين ثلاث فرق تتقاتل على كنز يكتشف على ضفاف نهر الفرات، وكل فرقة يكون أميرها ابناً لأمير سابق، فيقتل فى كل مئة تسعة

وتسعون منهم، ثم لايصير الكنز لأحد من هؤلاء الثلاث، فتأتى الريات السود فيظهرون دون قتال أوعناء على الجميع ويستولون على الكنز. كما جاء فى حديث أخرجه ابن ماجه فى سننه أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة، ثم لايصير إلى واحد منهم ، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم ثم ذكر شيئاً لاأحفظه فقال فإذا رأيتموه فبايعوا ولو حبواً على الثلج فإنه خليفة الله المهدى» .

من الحديث السابق نجد إشارةواضحة إلى أن هذه الرايات السود القادمة من خرسان هى على علاقة وثيقة بالمهدى عليه السلام، فإما أن يكون معها كما جاءفي نهاية الحديث (فإنه خليفة الله المهدى)، أوأن المهدى لايزال فى المدينة، بالتالي فإن الرايات السود هم أنصاره وسيمهدون لظهور كأنصار الرسول صلى الله عليه وسلم من أهل المدينة عندما هاجر إليهم فآزروه ونصروه.

ومما يرجع ذلك ويشير إلى أن المهدى عليه السلام قد لايكون مع الرايات السود القادمة من خرسان وانما قد يكون في المدينة ويستعد للخروج إلي بلاد الشام لقتال الصهاينة بينما الريات السود تكون فى طريقها إليه لبيعته ونصرته والانضمام تحت لوائه لقاتلوا معاً الصهاينة فى فلسطين. هو ما جاء فى الحديث السابق: «فيسألون الخير فلا يعطونه، فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتى»

كما يدلل الحديث السابق على أن الرايات السود ستخوض معارك ضارية مع أعدائها من الغرب والشرق دون أن يكون معها المهدى عليه السلام، فتنصر بإذن الله ثم تتابع الزحف حتى تصل إليه فتبايعه وتناصره .

فى تلك الأثناء وعلى الأرجح أن يخرج المهدى عليه السلام بجيشه من المدينة باتجاه بلاد الشام لتحرير فلسطين، وفى نفس الوقت تكون الرايات السود قد وصلت إلى هناك لتنضوى تحت جيشة ويقاتلوا معاً الصهانية فى فلسطين ويكون النصر حليفهم بإذن الله. فحينها تنتهى أسوأ حقبة مرت فى تاريخ الأمة الإسلامية، وينتهى ما يزيد على نصف قرن الاحتلال الصهيونى فى فلسطين، التى لم تستطيع تلك الجيوش الإسلامية على امتداد رقعتها فى البلاد والأمصار ومن أقصى الأرض إلى أدناهاأن تحرك ساكناً أو تنقذ طفلاً بريئاً وهو يقف وحيداً أمام آلة الحرب الأسطورية ليتحدى هذا الطفل بصمود هذا الطفل بصموده وكبريائه تلك القوة التى ماتزال تعشعش فى عقول الجبناء من هذه الأمة بأنها قوة لاتقهر، ويتحقق الحلم العربى والإسلامى الذى طالما يئس منه القائل فى كتابه :(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب) (سورة البقرة: ٢١٤).

ومصداق هذا النصر بإذن الله هو قول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذى: «يخرج من خراسان رايات سود لايردها شئ حتى تنصب بإيلياء» .

وهنا تنبيه وتحذير هام من النبى صلى الله عليه وسلم لمن أدرك الرايات السود القادمة من خراسان أن لايعترضها بل ليحلق بها ولو كان حبواً على ثلج، لأن فيها خليفة الله المهدى، أو هم كما أسلفنا أنصاره عليه السلام، كما جاء حديث أخر رواه أحمد فى مسنده عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «إذا رأيتم الريات السود قد جاءت من قبل خراسان فأتوها فإن فيها خليفة الله المهدى».

كما يوصى الرسول صلى الله عليه وسلم الرايات السود حينما ستعبر بلاد فارس (إيران حاليا) وهم فى طريقهم إلى بلاد الشام أن ينزلوا وقت الشدة مدينة (مرو) ، لأن ذى القرنين هو الذى بناها ودعا لها بخير. وذو القرنين هو الإسكندر اليونانى وهو رجل صالح كالمهدى عليه السلام كان قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم. روى أحمد فى مسنده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «ستكون بعدى بعوث كثيرة فكونوا فى بعث خراسان، ثم انزلوا مدينة مرو، فإنه بناها ذو القرنين ودعا لها بالبركة ولايضر أهلها سوء».

وحينما ستخرج الرايات السود من على جبال الثلج من خراسان، تكون الفتنة على نهر الفرات وبين الأمراء الثلاثة فى أوجها، وهم يتقاتلون على كنز من ذهب، يحسر عنه نهر الفرات، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، حتى لا يصير الكنز إلى واحد منهم، كما جاء فى الحديث :« لاتقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، فيقتتل عليه الناس فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون. يابنى فإن أدركته فلا تكونن ممن يقاتل عليه».

وفى الحديث السابق نجد أيضاً وصية أخرى منه صلى الله عليه وسلم لمن عاصر الفتنة على نهر الفرات أن لايشترك فيها حكاماًومحكومين لأن الكل مغلوب. وهذا الكنز قد يكون ذهباً أصفر أو أسود، أى لربما اكتشف على ضفاف نهر الفرات مخزون كبير من النفط، لاسيما أن بعض مناطق ودول شرق آسيا تشهد في العقود الأخيرة اكتشاف الخزنات كبيرة من النفط كما هو الحال في سيبيريا علي سواحل بحر قزوين، مما ينبئ أيضاً باكتشاف خزان كبير من النفط علي ضفاف نهر الفرات ليتقاتل عليه الناس، وفى نهاية الأمر تكون الرايات السود القادمة من خراسان قد وصلت إلى هناك وتظهر على الجميع. هذا مارواه ابن ماجه فى سننه عن النبى صلى الله عليه السلام أنه قال : «يقتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة، ثم لايصير إلي بواحد منهم ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم».

وإن ماتسعى إليه الولايات المتحدة الأمريكية اليوم لضرب العراق وتحت غطاء دولى سافر من مجلس الأمن، وبما بات يعرف الآن بالحملة ضد الإرهاب، مما قد يؤدى فى النهاية المطاف إلى تقسيم العراق وبالتالى ليبقى الجزء الشمالى والغنى بالنفط تحت الاحتلال الأمريكى، حتى تحين لحظة اكتشاف الكنز (الأصفر أو الأسود) حول نهر الفرات ليتقاتل عليه ثلاثة أمراء وكل منهم ابن لخليفة سابق ـ كما جاء فى الحديث السابق ـ مما يرجح أن يكون (جورج بوش الابن) وهو ابن لخليفة سابق (جورج بوش الأب) هو أحد هؤلاء الأمراء الثلاثة الذين سيتقاتلون على هذا الكنز ثم لايصير إلى واحد منهم.

الملحمة الكبرى «هرمجدون»:

فى خضم تلك الانتصارات التى حققها المهدى عليه السلام وأنصاره من الرايات السود فى شبه الجزيرة العربيه وبلاد الشام، وبعد تحرير فلسطين بإذن الله، يعقد الروم صلحاً مع المسلمين، لغزو عدو مشترك، قد يكون الروس أو الصين، وقيل الفرس. لأن الفرس على الأرجح لم يكونوا ليتعرفوا أو يبايعوا المهدى عليه السلام لاعتقادهم بأن المهدى سيخرج من بلادهم، فيقاتلونا بدلاً من بيعته، لاسيما بعدما رأوا ماحققه من انتصارات كما أسلفنا، مما يدفعهم ذلك إلى الشعور بتهديد أمنهم، وبأن المهدى هذا عليه السلام لابد أنه سيأتيهم عاجلاً أم آجلاً لفتح بلادهم أمناً أوعنوة، مما سيضطرهم ذلك أيضاً إلى التحالف العسكرى مع الروس لغزو البلاد العربية ومن ثم لطرد القوات الأمريكية المتواجد فى أغلب مناطق ودول شرق آسيا والتى باتت تهدد أمن الدولتين روسيا وإيران، وقد تنضم فيما بعد الصين إلى هذا التحالف.

ومن جهة أخرى فإن التقارب والتعاون العسكرى فيما بين الدولتين روسيا وإيران من جهة، وروسيا والصين من جهة أخرى والذى بات واضحاً فى هذه المرحلة، مما قد يؤدى فى نهاية المطاف إلى تحالف إقليمى بين الدول الثلاث (روسيا ـ الصين ـ إيران) ضد الولايات المتحددة الأمريكية ولغزو البلاد العربية (لاسيما دول الخليج)، وهنا ستضطر الولايات المتحدة الأمريكية والمهدى عليه السلام إلى عقد صلح فيما بينهم، وبالتالى لتشكيل تحالف جديد ضد التحالف الثلاثى (روسيا ـ الصين ـ إيران).

وستنتهى المعركة بإذن الله لصالح المهدى والروم ويغنمون غنائم كثيرة. حتى إذا ما استراحوا فى أرض خضراء ذى مروج وتلال وأرادوا تقسيم الغنائم، هنا وعلى الأرجح يحدث أحد الأمرين التالين:

أولاً: حين تقاسم الغنائم، يقاسم المهدى عليه السلام الروم (الأمريكان) على غنائم وأسرى المشتركين (الروس والصينين فقط)، ولايقبلوا بتقسيم غنائم وأسرى الفرس (الإيرانين) بل يطلقون سراحهم لأنهم إخوانهم فى الدين، فيغضب الروم ويبيتون الغدر للمسلمين. كما جاء فى حديث عبد الله بن مسعود عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «يكون بين المسلمين وبين الروم هدنة وصلح حتى يقاتلوا معهم عدوالهم، فيقاسمونهم غنائمهم، ثم إن الروم يغزون مع المسلمين فارس فيقتلون مقاتلتهم ويسبون ذراريهم، فتقول الروم: قاسمونا الغنائم كما قاسمناكم ، فيقاسمونهم الأموال وذرارى المشركين. فتقول الروم: قاسمونا ما أصبتم من ذراريكم، فيقولون: لانقاسمكم ذرارى المسلمين أبداً، فيقولون غدرتم، فترجع الروم إلى صاحبهم بالقسطنطينية فيقولون: إن العرب غدرت بنا ونحن أكثر منهم عدداً وأتم منهم عدة وأشد منهم قوة، فأمدنا نقاتلهم. فيقول: ما كنت لأغدريهم وقد كانت لهم الغلبة فى طول الدهر علينا، فيأتون صاحب رومية فيخبرونه بذلك، فيوجه بثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً فى البحر ويقول لهم صاخبهم: إذا أرسيتم بسواحل الشام فحرقوا المراكب لتقاتلوا عن أنفسكم فيفعلون ذلك ويأخذون أرض الشام كلها برها وبحرها ما خلا مدينة دمشق والمعنق، ويخبرون بيت المقدس»هذا كما أسلفنا لو بقى الفرس من الطرف

الخصم والمعادى للمهدى عليه السلام. ولا ينفى ذلك من احتمال بيعتهم للمهدى ونصرتهم له مباشرة، إلا أننا وفى هذا الفصل بالذات نقوم باستقراء أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ومن ثم طرح الاحتمالات الممكنة، ونكل الأمر إلى الله عز وجل.

ثانياً: إن رجلاً من الروم يرفع الصليب ويقول: غلب الصليب، فيرد عليه رجل على المسلمين وهو غضبان: بل الله غلب، وتشاحن الطرفان حتى يقوم المسلم على النصرانى فيقتله، فيغضب الروم ويبيتون الغدر للمسلمين. حتى وهذا ما جاء أيضاً فى الحديث التالى: «ستصالحكم الروم صلحاً آمناً، ثم تغزون أنتم وهم عدواً فتنتصرون وتغنمون وتسلمون، ثم تنصرفون حتى تنزلوا بمرج ذى تلول، فيرفع رجل من أهل الصليب الصليب فيقول: غلب الصليب، فيغضب رجل من المسلمين فيقوم إليه فيدقه، فعند ذلك تغدر الروم فيجتمعون للملحمة.. فيأتون حينئذ تحت ثمانين غاية تحت كل غاية أثنا عشر ألفاً»وبعد أن تبيت الروم الغدر المسلمين يقتلونهم جميعاً، ثم تعد الروم عدتها للحرب ليقينهم هذه المرة بأن العرب والمسلمين سيعدون العدة جيداً للانتقام منهم والرسول صلى الله عليه وسلم كان قد أطلق على هذه الحرب اسم (الملحمة الكبرى) لفظاعتها وكثرة القتلى التى ستنجم عنها. إذ ستحشد الروم (الولايات المتحدة الأمريكية) حشودها ليصل تعداد جنودها إلى ما يقرب من المليون جندى أمريكى، كما جاء فى الحديث: (فيأتون حينئذ تحت ثمانين غاية كل غاية اثنا عشر ألفاً). وتنزل أساطيلها عن طريق البحر لتتمركز فى منطقة الأعماق قرب دابق، وهى بلدة ما بين حلب وأنطاكية فى

إقليم لواء اسكندرون حالياً (التابع لبلاد الشام جغرفياً وللنفوذ التركى سياسياً). كما روى مسلم فى صحيحه أن رسول صلى الله عليه وسلم قال: «لاتقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يؤمئذ، فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوامنا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لانخلى بينكم وبين إخواننا، فيقاتلون فيهزم ثلث لايتوب الله عليهم أبداً، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث لا يفتنون أبداً فيفتتحون قسطنطينية».

إن التعاون (التركى الأمريكى الإسرائيلى) فى هذه المرحلة الحرجة من التاريخ، قد يمثل تمهيداً لنزول القوات الأمريكية وفى المستقبل كما جاء فى الحديث السابق والذى تضمن نبوءة وإعجازاً. فالنبوءة ستحقق فيما لو تمركزت القوات الأمريكية فعلاً فى منطقة الأعماق (لواء اسكندرون). أما الإعجاز فيتضح لنا فى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يصف لنا قدوم الروم إلى المنطقة وتمركزها بالأعماق باستخدام لفظ (احتلالاً) أو (عنوة).. وإنما عبر عنها باستعمال لفظ (إنزال)، فدقة اللفظ باستخدام كلمة إنزال بدلاً من إحتلال يدل على أن القوات الأمريكية حينما ستتمركز فى منطقة الأعماق ستكون بمأمن من العرب والمسلمين وبالفعل لو نزلت القوات الأمريكية فى هذه المرحلة من التاريخ فى منطة الأعماق قرب دابق، ستكون تحت حماية النفوذ التركى الذى يقوم باحتلال هذه المنطقة من بلاد الشام. إذ لولا هذا التعاون التركى الأمريكى الإسرائلى وفى قلب عالمنا الإسلامى، ولولا أن تركيا لم تكن تحتل هذا الجزء من بلاد الشام لما كان بالإمكان نزول

القوات الأمريكية وتمركزها فى منطقة الأعماق إلا بالقتال.

وقوة الإعجاز فى الحديث السابق تكمن فى أن أحتلال منطقة (لواء اسكندرون) من بلاد الشام وهذا التعاون التركى الأمريكى الإسرائلى هو موجود فى علم الغيب عند الله عز وجل، مما دفع نبيه صلى الله عليه وسلم ليخبرنا بأن الروم ستنزل وبعد أربعة عشر قرناً فى منطقة الأعماق، وستكون حينها بمأمن من العرب والمسلمين.

وبعد تمركز للقوات الأمريكية هناك، سيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض، يعقد لواءه السيد المهدى عليه السلام ويدفع بالراية إلي رجل من أصحابه، حتي إذا ماوصلوا إلي القرب من مكان تمركز بالراية إلى رجل من أصحابه، حتى إذا ماوصلوا إلى القرب من مكان تمركز القوات الأمريكية، عقدوا هدنة بينهم وبين الروم، فيستغن أنذانك الروم الهدنة لقتال الفرس (إيران) من جديد، والتى تعتبر الآن على رآس قائمة محور الشر بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، فيرد عليهم أنصار المهدى كما جاء فى الحديث السابق: لا والله لانخلى بينكم وبين إخواننا، ويمنعونهم من قتال إخوانهم المسلمين فى إيران.

وهنا تبدأ الملحمة الكبرى فيشترط المسلمون لأنفسهم القتال حتى الموت، إما الشهادة وإما النصر، وينتهى اليوم الأول دون تغلب طرف على طرف، وفى اليوم الثانى يجددون البيعة والشرطة أيضاً، فيبيتون وفى اليوم الثالث كذلك، حتى إذا كان اليوم الرابع نهض إليهم بقية أهل الإسلام ومن جميع

الدول الإسلامية، فيجعل الله الغلبة على الكافرين، ويقتلون منهم مقتلة لم ير مثلها أبداً وفى نهاية الملحمة تكون حصيلة جيش المسلمين ثلاثة أقسام: ينهزم ثلث الجيش فأولئك لا يتوب الله عليهم أبداً، ويستشهد الثلث الثانى هم أفضل الشهداء فى ذلك العصر، وينتصر الثلث الباقى فيفتح الله على أيديهم القسطنطينية من جديد.

وعلى الرغم من كثرة الفتوحات وقتئذ وكثرة الغنائم فلا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة .. ذلك لكثرة القتلى عند الأعداءوكثرة الشهداء عند المسلمين، حتى يتعاد بنو الأب الواحد بعد الملحمة كانوا المائة فلا يبقى منهم إلا الرجل الواحد وسيتضح لك عزيزى القارئ فيما يلى أن ما أسفلناه لم يكن وهماً أو ضرباً من الخيال، وإنما استقراء من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى روته مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن مسعود أنه قال: «إن الساعة لا تقوم حتى لايقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة، ثم قال بيده هكذا ونحاها نحو الشام، فقال : عدو يجتمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام، قلت: الروم تعنى؟ قال: نعم وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة، فيشترط المسلمون شرطة للموت لاترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفئ هؤلاء وهؤلاء كل غيرغالب وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لاترجع إلا غالب وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لاترجع إلاغالبة، فيقتتلون حتى يمسوا فيفئ هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة، فإذا كان يوم الرابع نهد إليهم بقية أهل الإسلام فيجعل الله الدابرة عليهم فيقتتلون مقتلة ـ إما قال: لا يرى مثلها، وإما قال: لم ير مثلها ـ حتى إن

الطائر ليمر بجنباتهم فما يخلفهم حتى يخر ميتاً فيتعاد بنو الأب كانوا مائة فلا يجدونه بقى منهم إلا الرجل الواحد، فبأى غنيمة يفرح أو أى ميراث يقاسم».

ومن أهم نتائج الحرب المهلكة، أن يقل الرجال ويكثر النساء، بداية لعصر يكون فيه لكل خمسين امرأة القيم الواحد، أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى فى صحيحه:

«إن من أشراط الساعة: إن يرفع العلم، ويكثر الجهل، ويكثر الزنا، ويكثر شرب الخمر، ويقل الرجال، وتكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد».

فتح رومية:

بعد الملحمة الكبرى وسقوط القسطنطينية، يتابع المسلمون التوغل فى البلاد الروم فتفتح لهم البلاد والأمصار، إلى أن يصلوا رومية أيضاً فتفتح لهم بإذن الله والقسطنطينية هى مدينة إستانبول حالياً، وهى دار ملك الروم لها سبعة أسوار، ارتفاع السور الواحد أحد وعشرون ذراعاً وقيل: عرض السور كذلك.

أهم مافيها الكنيسة وهى مستطيلة، بجانبها عمود عال عليه ورود من أربعة أنواع تقريباً، وعلى رآسه فرس من نحاس يعلوه فارس (هو صورة لقسطنطين الذى بنى المدينة) فى إحدى يديه كرة من ذهب، وقد فتح أصابع

يده الأخري مشيراً بها كما أنها مدينة تقع علي شاطئ البحر الأسود، يغزوها المسلمون فيفتحونها دون استخدام السلاح وبمدد من الله عز وجل، كما جاء فى الحديث التالى أن المسلمين آنذاك وهم من خيار أهل الأرض، يكبرون للمرة الأولى فيسقط أحد أسوارها، ثم يكبرون الثانية فيسقط السور الآخر، وفى الثالثة يفرح لهم ويدخلونها سالمين غانمين بإذن الله. روى مسلم فى صحيحه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: « سمعتم بمدينة جانب منها فى البر وجانب منها فى البحر؟ قالوا :نعم يا رسول الله، قال: لاتقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بنى إسحاق فإذا جاؤوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم، قالوا: لاإله إلا الله والله أكبر فيسقط أحد جانبيها . قال ثور: لاأعلمه إلا قال: الذى فى البحر، ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا الله والله وأكبر، فيخرج لهم فيدخلوها فيغنموا»

أما رومية فهى مقر الأب الروحى حالياً، والحاكم على دين النصرانية فى العالم المسيحى، الذى هو بمنزلة الخليفة عند المسلمين، وهى نفسها مدينة روما الإيطالية.، فيها من العجائب مالا يوجد فى البلاد المسلمين، إذ فيها الكنز الذى أخذه طاهر بن إسماعيل من بيت المقدس كما يوجد فيها التابوت، الذى فيه السكينة، ومائدة بنى إسرائيل، ورضاضة الألواح، وحلة آدم، عصا موسى، ومنبر سليمان، وقفيزين من المن الذى أنزله الله عز وجل على بنى إسرائيل، أشد بياضاً من اللبن فعن حذيقة بن اليمان أنه قال: سمعت وسول الله صلى الله علية وسلم يقول «ليستخرجن المهدى ذلك ، حتى يرده إلى بيت المقدس»

وها هو النبى صلى الله عليه وسلم يبشرنا بفتح القسطنينية ثم رومية، فسئل: أى المدينتين تفتح قبل الأخرى؟ فأجاب عليه السلام كما جاء فى حديث رواه أحمد فى مسنده:

«مدينة هرقل تفتح أولاً (يعنى قسطنطينية)»

وفعلاً فتحت القسطنطينية قبل رومية فى القرن التاسع الميلادى على يدى السلطان محمد الفاتح وبقيت رومية. وسيعاد فتح القسطنطينية باذن الله من جديد ليتم تحريرها من فساد العلمانية وتغلغل الماسونية اللتين تحكمان البلاد منذ سقوط الخلافة الإسلامية واستيلاء عدو الله المنافق أتاتورك على الحكم فى البلاد. وفى هذا الحديث نجد بشارة منه صلى الله عليه وسلم على أن المسلمين سيعود إليهم من جديد وزنهم وثقلهم بين الأمم وستفتح لهم رومية أيضاً بإذن الله.

المراجـع

- القرآن الكريم
- العهدين القديم والجديد
- تفسير القرطبى
- تفسير ابن كثير
- تفسير فتح القدير للشوكانى
- تفسير السعدى
- تفسير «فى ظلال القرآن» لسيد قطب
- صحيح البخارى
- صحيح مسلم
- سند أحمد بن حنبل
- معجم ألفاظ القرآن الكريم
- معجم ألفاظ الحديث

- اسطورة هرمجدون لهشام القط

- معركة هرمجدون ونزول عيسى لأحمد حجازى السقا

- تأسيس مملكة الرب ومعركة هرمجدون لأحمد حجازى السقا

فساد بنى اسرائيل وعلوهم الكبير لأحمد حجازى السقا

- بنو اسرائيل فى القرآن والسنة لمحمد سيد طنطاوى

- هرمجدون وما بعد الهرمجدون لمحمد عيسى داود

- هرمجدون لأحمد النجار

- هرمجدون فى الكتاب المقدس للقس البياضى

- هرمجدون بين الحقيقة والافتراء «لجريس هائل»

- العالم رقعة شطرنج لإدوارد سعيد

- تفسير الكتاب المقدس لهنرى متى عريبى

- صراع الحضارات ومعركة هرمجدون لأبو الفتوح سراج الدين

- هرمجدون معركة النهاية تسجيل صوتى لسلمان العودة

- وهم اسمه معركة هرمجدون للحسين المرتضى

الفهرس

مقدمة ٥

الفصل الأول: تحليلات الساسة من الغرب والشرق لمعركة هرمجدون.. ١١

تحليلات الساسة من الغرب والشرق لمعركة هرمجدون ١٢

سياسيون وكتاب غربيون ١٣

سياسيون شرقيون ١٤

هرمجدون ١٤

الفصل الثانى: اسطورة هرمجدون والصهيونية ٢٩

اسطورة هرمجدون والصهيونية ٣١

الجذور التاريخية للصهيونية ٣٢

وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ٣٦

حقيقة ما يضمره الغرب للعراق ٣٧

الخيارت القائمة أمام اليهود لدرء الخطر العراقى ٤١

الموقف العالمى إزاء العراق ٤٧

الموقف العربى من العراق ٤٩

دوافع ومبررات العراق لمحو اسرائيل عن الوجود ٥١

من صور الدخول فى القرآن ٦٦

المقصود بدخول المسجد ٦٩

صور من الواقع ٧١

صور من التاريخ الإسلامى ٧٥

مقومات وظروف فتح مكة ٧٨

صفة جيش البعث فى التوراة ٨١

اليهودى وصفة الجبن الملازم له عبر العصور ٨٢

الكيفية المتوقعة لهذا الدخول ٨٤

ردود الفعل العالمية المتوقعة ٨٥

الوعد والموعد والواقع ٨٧

ما بعد الغزو العراقى لإسرائيل ٩٢

الفصل الثالث:

الحرب العالمية الثالثة والسيناريو المحتمل لمعركة هرمجدون ٩٥

الحرب العالمية الثالثة والسيناريو المحتمل ٩٧

تحالف الروس والعرب ونصرهم على عدو مشترك ٩٨

الروم قديما وحديثا ١٠١

المذاهب النصرانية ١٠٣

النتائج المتوقعة للحرب العالمية الثالثة ١٠٦

الفصل الرابع:

حساب الجمل ونهاية إسرائيل وأمريكا خرافات رقمية ١٠٩

حساب الجمل ونهاية إسرائيل وأمريكا خرافات رقمية.............. ١١١

سورة الكهف ١١٦

وجعلنا لمهلكهم موعدا ١١٧

قصة اصحاب الكهف ١١٨

لا يمكن احصاء عدد السنين ١١٩

الاحصاء لمدة اللبث ١٢٠
طريقة العد فى سورة الكهب ١٢٢
قواعد الاحصاء فى سورة الكهف ١٢٣
سورة الاسراء ١٢٦
التأريخ لقيام دولة إسرائيل ١٣١
الموعد المتوقع لنهاية الولايات المتحدة الأمريكية ١٣٤
الموعد المتوقع لعودة عيسى عليه السلام والقضاء على الدجال واتباعه اليهود ١٣٦
الموعد المتوقع لظهور المهدى ١٣٧
الفصل الخامس: الدخان ومعركة هرمجدون ١٣٩
الدخان ومعركة هرمجدون ١٤١
تعريف بسورة الدخان ١٤١
أقوال المفسرين فى الدخان ١٤٤
صفات الدخان ١٧٥
الفصل السادس:

هرمجدون برؤية إسلامية وعلاقة هرمجدون بالمهدى المنتظر ١٨٣

هرمجدون والمهدى المنتظر ١٨٥

الملحمة الكبرى هرمجدون.. ١٩٩

فتح رومية ٢٠٥

المراجع ٢٠٩

الفهرس ٢١١

أسطورة هرمجدون
معركة النهاية الكبرى

- هذا الكتاب يكشف حقيقة ما يقال عن معركة النهاية الكبرى (هرمجدون) والتى يرى الغرب ومثقفيه أنه لا مفر منها
- فهل معركة هرمجدون معركة وصراع أديان؟
- وهل معركة هرمجدون وقعت بالفعل أيام عمر بن الخطاب كما يرى البعض ؟
- وهل حقاً معركة هرمجدون على الأبواب ؟
- وما حقيقة علاقة معركة هرمجدون بإقتراب ظهور المهدى المنتظر ونزول عيسى عليه السلام ؟

هذه التساؤلات وغيرها يجيب عليها هذا الكتاب

الناشر

تصميم الغلاف: باسم



للنشر والتوزيع
ت: ٣٥٣٠١٠٩ - ٠١٠١١١٥٨١٦٥